

The Curse Of Sobek



لعنة سوبيك

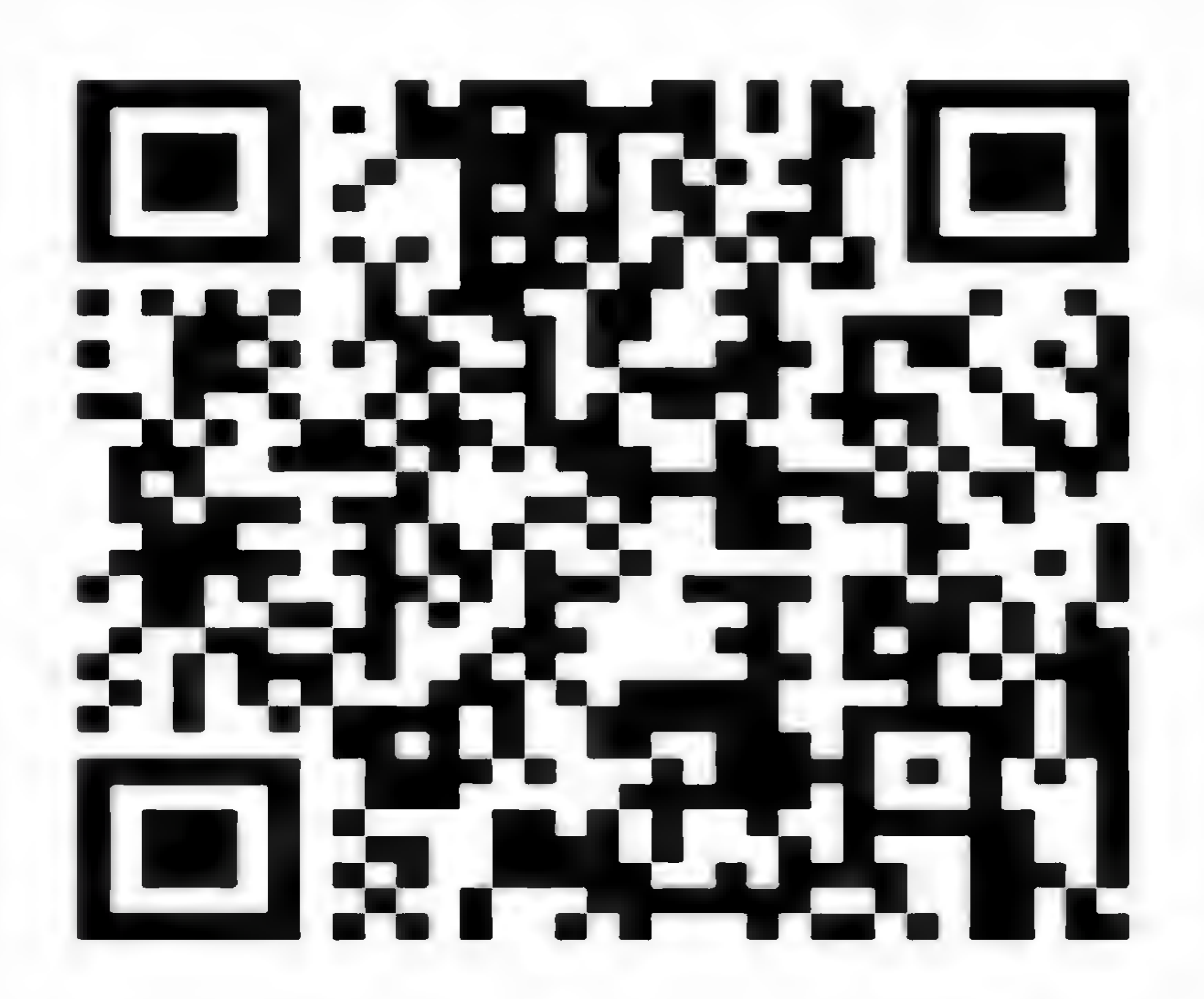
محمد عصمت

ن للنشر و التوزيع



تم نشره في الأصل على هيئة قصص صوتية ضمن سلسلة أعمال Storytel Original، لعام ٢٠١٨م

استمع للنسخة الصوتية من القصص



الحكاية الأولى: لعنة سوبيك

تأليف: محمد عصمت- من مصر

(0)

(قبل البداية)

في الرّابع عشر من مايو/أيار عام سبعة عشر وألفين، استيقظت تلك القرية الصغيرة القابعة على حدود محافظةٍ ما من محافظات مصر على جريمةٍ بشعةٍ، جريمةٍ لم يكن يتخيّل قاطنو وسكان القرية أن يروها سوى في الأفلام الأجنبيّة وخصوصًا أفلام الرّعب.

وكعادة القرى الصغيرة انتشرت الأخبار كالنّار في الهشيم بين سكّانها قبل أن تنتقل للقرى المجاورة وتصل بسرعةٍ شديدةٍ إلى الشّرطة المصريّة التي فرضت حالةً من التكتّم على الجريمة كي لا يصاب العامّة بالرّعب والهلع.

لكنّ تلك الجريمة كانت أقصى ممّا تخيّله أحدهم.

فرضت حالةٌ من الحصار على القرية، وأصدر النائب العامّ قراره سريعًا بمنع النّشر، تلقّى الإعلاميّون أوامر بعدم فتح الموضوع مهما حدث، استعانت الشّرطة بالعديد والعديد من

المختصّين في مجالاتٍ مختلفةٍ.

وكما بدأ الأمر فجأةً.. اختفى فجأةً.

استيقظ أهل القرية ليجدوا البيت خاليًا والشّرطة قد رحلت وتركت قريتهم.

أطلقت العديد من الشائعات والكثير من التّخمينات، لكنّ قليلين من كانوا يعلمون الحقيقة الكاملة.

بطرقنا الخاصّة استطعنا الوصول لأحد أبطال الشرطة الذي رفض أن يذكر أيّ معلوماتٍ تخصّه، لكنّه كان كريمًا بما يكفي كي يقصّ علينا كلّ شيءٍ.

وبالتّفصيل...!

(1)

ممسكًا رأسه وباديًا عليه علامات الحزن والهمّ، تلك كانت الصورة التي تعوّد زملاء أستاذ مدحت أن يروه بها، يعرفون جيدًا أنه يظلّ ممسكًا رأسه من شدّة الصّداع، لكنّهم يعرفون أيضًا أنّه ليس بسببٍ عضويٍّ، بل يصيبه من كثرة التفكير والحسابات، أستاذ مدحت رجلٌ شريفٌ لا يقبل الرّشاوي ويرفض المال الحرام وهذا شيءٌ نادرٌ في هذا الزمن، وهذا أيضًا هو سبب معظم متاعبه ومشاكله، تربية طفلٍ في هذا البلد وفي تلك الظّروف أمرٌ قاسٍ ومكلّفٌ ماديًّا لأقصى درجةٍ، فما بالك بتربية أربعة أطفالٍ!

صحيحٌ أنّه موظّفٌ مثاليٌّ لا يهمل عمله، ولا يخطئ تقريبًا، لكن في الأونة الأخيرة تغيّر مظهره، فأصبح شعره أشعث، ووجهه المكتئب الحزين زاده عمرًا أكثر من عمره الحقيقيّ، وأصبح يثير قلق زملائه خاصّةً بعدما أصبح مكتبه انعكاسًا لتبدّل مظهره، فالأدوات والملفّات مبعثرةٌ هنا وهناك، وكاد يتسبّب في ضياع ملفٍ هامٍّ، لكنّهم وجدوه في اللحظة الأخيرة قبل أن يتمّ إعدامه مع الملفّات المراد إتلافها عن طريق الخطأ.

الدنيا قاسيةٌ بما يكفي فلم يا رجل تزيدها سوءًا! بالطّبع اشتكوا لمديرهم بخصوص مدحت منذ بدأ حاله بالتبدّل،

ووعدهم أن ينظر في الأمر. وبمجرّد خروجهم من مكتبهم نسي الأمر مؤقتًا، لكن في يومٍ صباحًا كان شغله الشاغل السؤال عن مدحت وأمر الموظّفين أن يرسلوه إلى مكتبه بمجرّد وصوله، ظنّ الموظّفون أنّ تكرار الشكاوى وتعدّدها أصبح أمرًا يؤرّقه بدوره، وأنّه قرّر استدعاءه أخيرًا إلى مكتبه خاصّةً بعد الحادثة الأخيرة.

سمع المدير صوت الطّرقات على الباب فأمره بالدخول، دلف مدحت لمكتب مديره بخطواتٍ بطيئةٍ ووجهٍ حزينٍ، ابتسم بصعوبةٍ، نظر له مديره منعقد الحاجبين قبل أن يشير له بالجلوس، جلس في استسلامٍ وهو ينظر إلى الأرض، سافر عقله في حساب بعض الأشياء الضروريّة التي يحتاجها البيت، قبل أن يعود لعالمنا سريعًا، وهو يسمع صوت مديره يسأله: «قل لي.. ماذا ستشرب؟». شكره بصوتٍ خافتٍ قبل أن يستكمل رحلة تفكيره، وقف مديره ودار حول المكتب، فجلس مقابله وربّت على كتفه برفقٍ وهو يقول: «ما بك يا رجل؟ لم تعد مدحت الّذي عرفناه؟»

ابتسم مدحت بقهرٍ وهو يقول: «لم تعد الدنيا كسابق عهدها أيضًا.. تغيّرت فتغيّرنا».

«هل تريد أن تحكي؟ فأنا مستمعٌ جيدٌ».

ابتسم مدحت مرّةً أخرى وهو يقول بصوتٍ انتهكه الحزن:

«وبما سيفيد الحكي غير زيادة المرار مرارًا، وما ذنبك أنت؟.. كلنا نعوم في بحار المشاكل، فلماذا أثقل عليك بهمومي؟»

ابتسم المدير بعطفٍ وهو يقول: «أولسنا إخوةً.. احك.. كلّي آذانٌ صاغيةٌ»

صمت مدحت لثوانٍ وكأنّه يزن الأمور بكفّة العقل قبل أن يتّخذ قراره ويبدأ بالحديث، اشتكى بخصوص ارتفاع الأسعار وانخفاض القيمة الشّرائيّة للنّقود، تحدّث عن طلبات أولاده التي لم يعد يستطيع الوفاء بها، تحدّث عن زوجته التي لم يشتر لها فستانًا جديدًا منذ سنين عجز عن عدّها وهي صامتةٌ وفيّةٌ لم تشتك يومًا، سمعه مديره بهدوءٍ حتّى انتهى لم يقاطعه أبدًا، بعد أن أنهى مدحت كلامه شعر براحةٍ، كما لو أنّه تخلّص من عبءٍ ثقيلٍ كان يثقل كاهله، تنهّد وهو يعتذر لمديره عن كثرة حديثه لكنّه-والله يعلم-كان بحاجةٍ للكلام.

اتسعت ابتسامة مديره وهو يقول: «سبحان الله».

ارتفع حاجباه بدهشةٍ وهو يقول: «ونعم بالله، لكن ما الذي يدعو لهذه الدهشة». أجابه مديره بهدوءٍ: «لله حكمةٌ في كلّ شيءٍ يحدث في دنيانا». «والنّعم بالله، لكنّي لم أفهم بعد». «هناك موضوعٌ بخصوصك أخاف أن أفاتحك فيه منذ فترةٍ، لكن أعتقد أن هذا هو الوقت المناسب».

«خيرٌ يا حضرة المدير؟». «خيرٌ يا مدحت.. كلُّ خيرٌ إن شاء الله». صمت المدير للحظاتٍ قبل أن يقول: «هل تحبّ أن تربح ما يزيد عن خمسة ملايين جنيهٍ دون أن تبذل أيّ مجهودٍ؟».

ابتلع مدحت ريقه بصعوبةٍ وعلامات الدّهشة وعدم التصديق تظهر جليّةً على وجهه وقبل أن يفهم أيّ شيءٍ بدأ مديره في شرح الأمر.

ومع كلّ كلمةٍ كان يسمعها من مديره كانت عيناه تتّسعان بدهشةٍ وهو لا يكاد يصدّق ما يسمعه.

***

سمع صوت طرقاتٍ على باب الغرفة فاعتدل، دلفت زوجته إليها وهي تنظر إلى الأرض في خجلٍ، شعر بها، امتقع وجهه وصار دخولها للغرفة نذير سوءٍ، الأطفال يحتاجون إلى أشياء طوال الوقت، تحاول أن تنقل إليه الأخبار بألطف الطّرق الممكنة، يعرف جيدًا أن لا ذنب لها، لكنّه بدأ يقلق كثيرًا كلّما همّت بالحديث إليه.

كانت تمسك في يدها أوراقًا، ارتعش قلبه ودقّ بعنفٍ، نظر لها نظرةً حملت تساؤلًا مليئًا بالخوف فنظرت إليه ثمّ انتكس رأسها ودموعها تهطل، اقترب منها واحتضنها برفقٍ، سألها

همسًا: «هل هذه نتائج التّحاليل؟». هزّت رأسها إيجابًا، انتظر أن تتحدّث لكنّها آثرت الصمت، ربّت عليها وهو يضمّها إليه أكثر، ويسألها وقد توجّس قلبه خيفةً: «طمئنّي قلبي». رفعت عينيها الحمراوين إليه وقالت من بين دموعها: «جسدي لم يعد يستجيب للعلاج.. نحتاج للتدخّل الجراحيّ.. ربع مليون جنيهٍ يا مدحت! .. ربع مليون جنيهٍ.. لا ذنب لي فلماذا أصاب بهذا المرض النّادر.. لا ذنب لي».

احتضنها أكثر، وهو يعضّ شفته السّفلى بمرارةٍ، حاول طمأنتها لكنّ صوته أتاها مرتعشًا مهزوزًا: «سأتصرّف». نظرت له نظرةً يعلمها جيدًا، فهي تعرف كلّ خباياه وتعرف ظروفه الماديّة كاملةً، قال بصدقٍ: «صدّقيني سأتصرّف». خرجت من بين يديه وجلست على حافّة الفراش قائلةً: «أعرف الظّروف يا حبيبي، من أين ستأتي بمثل هذا المبلغ، هل تعرف.. أنا لا أخشى الموت لذاته، الموت أجبن من أن يخاف، أخاف الموت لأنّي أخشى عليكم من الدنيا، أخشى عليك وعلى الأولاد، أنتم تحتاجونني أكثر ممّا أحتاجكم». لم تستطع إكمال جملتها، غلبها البكاء فأطاعته صاغرةً، احتضنها حتّى هدأت واستكانت بين يديه، تملكّها الحزن فنامت هربًا منه، أسجى جسدها على الفراش برفقٍ، وهو يخرج هاتفه المحمول من درجٍ قرب السرير، واتصل بمديره. أجرى مكالمةً قصيرةً للغاية قال فيها جملتين.

«أنا موافقٌ على كلّ شيءٍ لكن بشرطٍ... «سأحصل على ربع مليون جنيهٍ قبل أيّ شيءٍ».

(2)

غرفةٌ صغيرةٌ سكّانها ثلاثةٌ من الرجال، مدحت يجلس قلقًا، يضع كفّيه بين فخذيه وهو يرتعش متوترًا، يحاول الهروب من توتّره بتفحّص المكان، يراقب بعينيه الممرّ الضّيّق الذي يفصل بين الغرف، يهرب بعقله بعيدًا وهو ينظر لمديرهالذي يجلس بثقةٍ، يتابع عيني مديره ليرى ثالثهما الذي يرتدي جلبابًا باهظ الثمن متلحفًا بشالٍ صوفيٍّ ثقيلٍ.

تحدّث مديره قاطعًا الصمت وهو يطالع الشيخ الذي يبتسم بثقةٍ وهو يمسّد شعر ذقنه بيده، جالسًا على الأريكة ثانيًا إحدى قدميه تحته، كانت حركاته كلّها تدلّ على ثقةٍ كبيرةٍ بالنفس: «الشّيخ زغلولٌ أحد أكبر وأهمّ الشيوخ في مصر، متخصّصٌ في فكّ السحر وإزالة الأعمال، مؤخرًا تخصّص في الكشف عن الآثار عن طريق الاستعانة بقبائل من الجانّ، له طرقه ووسائله التي لا دخل لنا بها، المهمّ أنهم أخبروه بوجود مقبرة كاهنٍ فرعونيٍّ في بلدتنا، وأنت تعرف أنّ مقابر الكهنة تكون غنيّةً وممتلئةً بالكنوز، هذه المقبرة تقبع في انتظارنا تحت بيتك، سيساعدنا الشيخ لنستخرج كنوزها ثمّ سنقتسمها سويًّا، العمّال والأدوات اللازمة كلّها موجودةٌ ولن يحتاج الأمر بضعة أيّامٍ».

كان مدحت في وادٍ آخر، لم يسمع كلمةً ممّا قال، ينظر

للسّقف لكنّه لا يرى تفاصيله، هزّ رأسه في توتّرٍ وهو يقول: «أنا غير مهتمٍّ، فقط أعطوني ما طلبت والبيت سيكون ملكًا لكم لتحفروا تحته».

وضع الشيخ زغلولٌ عصاه برفقٍ بجوار الأريكة لتستند على الحائط الذي يفصل الصّالة عن أقرب الغرف، ومدّ يده داخل جلبابه وأخرج رزمةً واحدةً من الدّولارات وناولها لمدحت الذي تساءل بدهشةٍ: «ما هذا؟ لقد كان اتفاقنا ربع مليون جنيهٍ؟»

ابتسم الشيخ بسخريةٍوهو يقول: «يا أحمق، تلك الرزمة التي لا تعجبك هي أربعة عشر ألفًا من الورق الأخضر، أي ما يساوي ربع مليون جنيهٍ الخاصّة بعمليّة زوجتك!».

ارتفع حاجبا مدحت في دهشةٍ، لكنّه لم يكن يعلم أنّ الشيخ يسأل عن ضحيّته، ويعرف كلّ شيءٍ عنها، تلك هي الطريقة الوحيدة التي تسمح له أن يفرض سيطرته عليهم، أمسك الحقيبة بيدٍ مرتعشةٍ وهو يحاول الابتسام.

تحدّث مديره مرّةً أخرى: «الأمر ليس صدفةً يا مدحت، الشيخ زغلولٌ متمرّسٌ في الأمر ومساعدوه من الجانّ أقوياء للغاية، يعرف مكان المقبرة ويعرف نقطة البدء والتنقيب».

هزّ رأسه بتوتّرٍ وهو يستمع لكلمات مديره: «بالنسبة لي

ولك فنحن في إجازةٍ مفتوحةٍ من العمل لحين انتهاء الأمر، زوجتك ستذهب إلى أكبر المستشفيات الخاصّة بالقاهرة بصحبة والدتها وستخضع للجراحة على يد طبيبٍ ماهرٍ للغاية وستقضي فترة نقاهتها هناك، الأولاد فقط عليك أن تبعدهم عن الغرفة التي سنحفر فيها كي لا ينتشر السّرّ ويحاصرنا الطمّاعون».

هزّ رأسه وهو يفتح الحقيبة وينظر للنقود، حاول ضميره أن يؤنّبه لكن أسكته سريعًا، لا خيار أمامه الآن سوى إنقاذ حياة زوجته.

***

سافرت زوجته بصحبة أحد أبنائها ووالدتها للعلاج أمّا الطّفل الثّاني فذهب ليعيش مع جدّه لأبوه، وظلّ أصغرهم مع أبيه، لم يدخل المدرسة بعد فلن يبذل الأب جهدًا في المذاكرة أو غيرها، سيلهو مع أولاد الجيران حتّى يغلبه التّعب فينام، ويأكل مع أبناء جارتهم الّتي اتّفق معها مدحت ونقدها مبلغًا من المال مقابلًا للأمر.

حدّد الشّيخ زغلولٌ غرفة الصالون، وقرّر أنّ الكنز تحتها، كانت غرفةً صغيرةً فقيرة الأثاث، بها بضع أرائك عفا عليها الزمن وتزيّن أرضيّتها سجّادةٌ قديمةٌ بهت لونها، قال لهمإنّ الجانّ أبلغوه وهو يصدّقهم ويثق بهم، أخلوا الغرفة من

محتوياتها، أتى الشّيخ زغلولٌ بأربعة رجالٍ يساعدوهم على الحفر، وبهذا أصبحوا سبعةً، جمعهم الشيخ زغلولٌ وأخبرهم أنّ المقبرة مليئةٌ بالكنوز، الرزق كثيرٌ والكلّ سيستفيد، لكن عليهم أن يعملوا بأقصى جهدهم وعليهم أنيلتزموا السّرّيّة التامّة، لن يخرجوا من البيت لأنّهم أغرابٌ عن القرية ورؤية الجيران لهم ستثير الشكوك، بينما سيادة المدير سيخبر الجميع أن يقضي الوقت مع صديقه كيلا يجلس وحيدًا في بيته بعد رحيل زوجته.

جمعهم الشيخ زغلولٌ وبلهجةٍ آمرةٍ أخبرهم: «البيت صغيرٌ والجيران منتبهون، يجب أن تتمّ عملية الحفر في هدوء وبسرّيّةٍ تامّةٍ، غرفة الأولاد ستكون ملكًا لكم كي تناموا وترتاحوا فيها بشرط عدم التعدّي على أيٍّ من مكوّناتها، المطبخ للأكل، الحمّام لقضاء الحاجة والاستحمام، غرفة نوم السيّد مدحت منطقةٌ محرّمةٌ عليكم تمامًا فبها سينام هو وصغيره وبها مقتنيات أسرته، الصّور المعلّقة على جدران البيت لها حرمةٌ، لو أخطأ أيٌّ منكم سيكون عقابي قاسيًا».

هزّوا رؤوسهم بينما ظهرت نظرة امتنانٍ في عيني مدحت، أكمل حديثه: «ستحفرون التراب، لكن في حالة اصطدام أحد فؤوسكم بأيّ شيءٍ قاسٍ عليكم أن تستدعوني فورًا، أيّ جدرانٍ عليها نقوشٌ من أيّ نوعٍ أو غرفٍ مفتوحةٍ وجدتموها

مدفونةً لا تدخلوها بغير إذنٍ، من المتوقّع أن تكون جدران المقبرة من الجرانيت، حذار من أن تكسروها أيّها البلهاء».

صمت قليلًا قبل أن يقول بصوتٍ جهوريٍّ: «والآن، هيّا للعمل».

وبالفعل.. التزم الكلّ بالتعليمات.

لكن لو كان الأمر بهذه السهولة ما احتاجوا لشيخٍ، وما كنّا هنا لنقصّ ما حدث لهم.

استمرّوا في الحفر وإقامة السراديب عن طريق رفع وصنع أسقفٍ خشبيّةٍ كي لا تردم الحفرة وتدفنهم أحياء، يستعملون الكشّافات في الإضاءة والسّلال لحمل الرّمال والصّخور الناتجة عن الحفر.

بعد أربعة أيّامٍ اصطدم فأس أحد العمّال بشيءٍ قاسٍ، وفورًا تمّ إبلاغ الشّيخ زغلولٍ وصحبته، كانت تلك هي المرّة الأولى التي يهبط فيها مدحت للسّراديب، كانت ضيقةً مظلمةً، رائحة عرق الرجال تحتلّها وعطن الأماكن الضيقة يسيطر على كلّ شيءٍ، مشى خلف الشيخ زغلولٍ والمدير وقلبه يدقّ بقوّةٍ، يستطيع أن يجزم أنّهم يسمعونه، ارتجف والدّم يهرب من عروقه، وصلوا للمكان الذي أشارإليه العمّال، أمسك الشيخ زغلولٌ بالفأس وبدأ يحفر برفقٍ وبطءٍ حتّى

رأوا غايتهم، تمثالٌ لسيّدةٍ ذهبيّةٍ، كانت متوسّطة الحجم كدميةٍ قطنيةٍ ورغم قدمها ودفنها وسط الرّمال لآلاف السنين فإنّها كانت تلمع بزهوٍ، استخرجها الرّجال تحت إشراف الشّيخ زغلولٍ الذي أمسكها وهو ينفض عنها غبار السنين ويقلّبها بين يديه ولمعة جشعٍ تعتمل في عينيه.

أشار لهم أن يتبعوه للخارج، التّنفّس صعبٌ في تلك السراديب، خرجوا للبيت، قلّب التمثال بين يديه لوهلةٍ وهو يقول: «هذه هديّة المكان».

ظهرت البلاهة على وجه مدحت وهو يحملق فيهم بعدم فهمٍ، بدأ الشيخ زغلولٌ الشّرح بهدوءٍ: «تلك هي هديّة المكان، هديّة المكان غالبًا إمّا أنتكون عروسًا ذهبيةً أو صندوقًا ذهبيًّا، يضعها الفراعنة قبل بوّابات مقابرهم كي تخدع اللصوص، يأخذها اللصّ ويفرّ ولا يزعجهم في موتهم، هل تعلمون معنى هذا؟».

هزّوا رؤوسهم بالنّفي، خشوا أن يتحدّثوا في حضرة العروس الذهبيّة، كانوا يرمقونها بانبهارٍ مبالغٍ فيه، استكمل الشيخ زغلولٌ حديثه بهدوءٍ: «هذا يعني شيئين.. أوّلًا أننا على الطريق الصحيح، وثانيًا أنّ الأمور منذ الآن ستتخذ منحنًى آخر.. أشدّ وطأةً وأكثر صعوبةً».

سأله مدحت بقلقٍ: «كم ثمنها؟»

نظر لها الشيخ بإعجابٍ وهو يقول وابتسامةٌ ساخرةٌ تحتلّ شفتيه: «حوالي مليون دولارٍ».

ابتلع مدحت ريقه وهو يقول: «لو بعناها وأعطينا الرجال حقوقهم سيتبقّى لنا حوالي خمسة عشر مليون جنيهٍ لنقتسمها.. خمسة ملايين لكلٍّ منّا.. مبلغٌ معقولٌ.. ما قولكم؟».

نظر له المدير دون ردٍّ قبل أن ينظر للشّيخ، فالكلمة الفاصلة له، لمعت عينا الشّيخ وهو يقول: «لن نتراجع، سنكمل الأمر مهما حصل».

صمت لبرهةٍ قبل أن يقول: «في العادة يا سادة تكون هديّة المكان الطّعم الذي نجذب به المشتري، تلك القطعة سأعطيها لأحد معارفي وسيقوم بعرضها على بعض المهتمّين بالأمر وسيعرض كلٌّ منهم مبلغًا من المال ليشتري به محتويات المقبرة بأكملها وتكون هديّة المكان هي بداية البيع، والمشتري هو الذي سيعرض المبلغ الأكبر».

قبل أن يستكملوا حديثهم خرج أحد العمّال من الغرفة، ملوثةً ملابسه بالغبار وعرقه يملأ وجهه، قال وهو يجاهد ليلتقط أنفاسه: «لديّ خبرٌ جيّدٌ».

على الفور صرخ فيه الشّيخ زغلولٌ: «تكلّم». ابتلع الفتى ريقه وهو يقول: «وجدنا بوّابة المقبرة».

نظر بعضهم إلى بعضٍ بقلقٍ قبل أن يقوم الشّيخ مستندًا إلى عصاه وهو يأمر الفتى بالمشي أمامه، قاده الفتى داخل السّراديب إلى أن وصل لنهاية الممرّ، وجدوا حفرةً صغيرةً مردومةً بالتّراب، حفروا حولها بحرصٍ وقفز فيها أحد العمّال وبصحبته كشّافٌ ليجد نفسه واقفًا أمام بوابةٍ ضخمةٍ من الجرانيت النّظيف، ساعدوا الشّيخ ليهبط في الحفرة برفقٍ، لم يعد سنّه يتحمّل كلّ هذا المجهود.

وقف ينظر بانبهارٍ تامٍّ للبوّابة الضّخمة، يحيط بها عمودان يحرسانها، منقوشٌ فوقها جملةٌ هيروغليفيّةٌ قرأها الشيخ بسهولةٍ وفهم مغزاها، اقترب من بابها الضخم للغاية وتحسّسه بيده، وضع أذنه عليه وهو يتمتم ببعض الكلمات قبل أن يبتسم بتوتّرٍ، عاد خطوةً للخلف وهو يتأمّل سطحها اللّامع، ويأمر الرجال أن يساعدوه على الخروج، خرج من السرداب ليجد مدحت والمدير ينتظرانه بتوتّرٍ، اكفهرّ وجهه وهو يقول: «البوّابة مرصودةٌ».

تبدّلت نظرات التوتّر لنظرات خوفٍ، جملةٌ من كلمتين كانت كافيةً لتملأ قلوبهم بالخوف عن بكرة أبيهم.

(3)

كي تفهم معنى البلاهة أمامك شيءٌ من اثنين، أوّلًا أن تفتح المعجم لتبحث عن معناها وثانيهما أن تنظر لوجه مدحت، فعليه ترتسم أعتى علامات البلاهة وعدم الفهم، سأل الشيخ زغلولًا بصوتٍ مرتعشٍ: «ما.. ما معنمرصـ.. مرصودة؟».

لم يجبه الشيخ، نادى للفتى وأخبره أن يترك السّرداب ويخرج هو وزملاؤه من البيت، وفي الوقت المناسب سيتّصل بهم ليستكملوا العمل، ويبدو أنّ الفتى يثق فيه ثقةً عمياء؛ لأنّه هزّ رأسه بتفهّمٍ وعاد للسرداب كي يخبر زملاءه.

بمجرّد خروج العمّال من البيت دلف الشيخ للمقبرة وهو يحمل بيده كشّافًا ضخمًا، وقف أمام الجزء الذي ظهر من بوابة المقبرة وهو يفحصه ويمشي بيديه ليتحسّس الرسوم الموجودة عليه.

تنحنح الشيخ للحظاتٍ قبل أن يقول: «الرّصد معناه وجود جانٍّ قويٍّ أو سحرٍ استخدمه الفراعنة لحماية مقابرهم من السّرقة، كما تعرفون فمقابر الفراعنة مليئةٌ بالكنوز التي تجعلها مطمعًا للكلّ وعلى مدار التّاريخ حاول الكثيرون فتح تلك المقابر لكنّ أغلب تلك المحاولات باءت بالفشل».

سأل مدحت بتوتّرٍ: «إذًا.. هل فشلنا؟.. انتهى الأمر؟».

تجاهل الشيخ سؤاله وهو يستكمل حديثه: «لكلّ مقبرةٍ حارسٌ يسمّى بالرّصد، وكلّ مقبرةٍ نفشل في فتحها تكون مرصودةً، وكلما ازدادت أهمّيّة صاحب المقبرة كان رصدها أكبر.

في هذه المرّةسأل المدير: «وفي حالتنا هذه، المقبرة مهمةٌ.. أليس كذلك؟».

هزّ الشيخ رأسه وهو يقول: «تلك مقبرة أحد أهمّ الكهنة لذلك أتوقّع أنّ الرّصد الموجود عليها عبارةٌ عن جانٍّ قويٍّ للغاية موكّلٍ بحراستها».

صمت قليلًا قبل أن يقول بصوتٍ خافتٍ: «لكنّ هناك مشكلةً».

نظر بعضهم إلى بعضٍ في قلقٍ وتوتّرٍ قبل أن يلقي بقنبلته على قلوبهم الخائفة: «رصد هذه المقبرة ماردٌ ومن أشرس مردة الجنّ.. لن نستطيع فكّ الرصد لفتحها سوى بتقديم قربانٍ بشريٍّ».

***

نحن الآن أمام أناسٍ باعوا ضمائرهم، وانساقوا خلف طمعهم وجشعهم، المناقشة كانت بسيطةً بينهم، لمعت عينا الشيخ بجشعٍ بينما سال لعاب المدير وهو يفكّر أن لا مانع

من سفك بعض الدماء إن اقتضى الأمر، هذا ثمنٌ بخسٌ، كلٌّ منهما يفكّر فيما سيفعل بالذّهب عندما يصبح بين يديه، لاحظا تردّد مدحت والخوف الّذي يلتمع في عينيه، فقال الشّيخ بقسوةٍ: «أستاذ مدحت، لا نملك الآن رفاهية التراجع، إمّا أن تساعدنا أو....».

وأشار إلى رقبته في علامةٍ يعرفها مدحت جيّدًا وهو يكمل: «أو سنتصرّف نحن بطريقتنا».

اتّفقوا على التضحية، ولكنّ المشكلة كانت في القربان، من سيقبل أن يذبح على باب مقبرةٍ فرعونيةٍ قديمةٍ، تهديدهم لمدحت جعله يفكّر بيأسٍ قبل أن يقول بصوتٍ منخفضٍ: «سعفان العبيط».

نظروا له في دهشةٍ وعدم فهمٍ، فتنهّد وهو يقول لهم أن ينتظروه قليلًا، خرج من البيت وبعد حوالي ساعةٍ تقريبًا دخل البيت وبيده شابٌّ مشرّدٌ يرتدي جلبابًا ممزّقًا وتبدو عليه علامات البلاهة، كان الفتى مختلًّا عقليًا يجلّ شوارع القرية، يأكل من القمامة ويشرب من المصارف ويلعب مع الأطفال، ليس له أهلٌ ولن يفتقده أيّ شخصٍ.

جلس سعفان وقد أعطاه مدحت شطيرةً ساخنةً استدرجه بها إلى البيت، قال وهو يلتقط أنفاسه: «تأخّرت لأنّني كنت أتجنّب التجمعات، لم أرد أن يراه معي أيّ شخصٍ».

ابتسم الشّيخ وهو يربّت عليه قائلًا: «حسنًا فعلت».

اقترب من سعفان وهو يسأله: «هل تحبّ اللحم المشويّ؟». سال لعاب سعفان وهو يهزّ رأسه، سأله مرّةً أخرى: «هل ترغب في أكل خروفٍ مشويٍّ بمفردك؟». سأل سعفان: «بـ.. بمفـ... بمفرد.. بمفردي؟». هزّ الشّيخ رأسه وهو يقول: «إذًا تعال معي». توتّر مدحت رغم أنّه الشّخص الذي استقطبه وهو يقول: «انتظر». حاول أن يبعد سعفان عن السّرداب لكنّ الشيخ رفع عصاه بقسوةٍ وهو يضعها على صدر مدحت ويدفعه للخلف، نظرة الشّرّ التي لمعت في عينيه كانت كافيةً لكنّ الشيخ قال: «ارجع، سأفتح البوّابة مهما اقتضى الأمر وسأضحّي بقربانٍ بشريٍّ، من الأفضل أن يكون سعفان بدلًا من أن يكون شخصًا آخر». تراجع مدحت خائفًا من ذلك التهديد الصريح، دخل الفتى السرداب ودخل خلفه الشّيخ وهو يخرج سكينًا ضخمًا من بين طيّات جلبابه، يبدوأنّه يحتفظ به للدفاع عن نفسه، قبل أن يختفي في السرداب قال لمدحت بصوتٍ خافتٍ: «ابنك الصغير يقف خلف الباب ليسترق السمع.. تعامل مع الأمر كي لا يفضحنا كلّنا».

اختفى الشيخ بصحبة سعفان داخل السرداب بينما فتح مدحت الباب، اندفع الصغير لداخل الغرفة وهو يسقط أرضًا، شعر بالإحراج وكان أصغر من أن يبرّر موقفه فبكى، احتضنه

والده برفقٍ، كان حنونًا يجيد التعامل مع أطفاله، تحدّث مع الفتى بخصوص استراق السمع وأنّ هذا فعلٌ لا يجوز.

فهم الفتى الحديث لكن قبل أن يخرج من الغرفة سأل بفضولٍ: «إلى أين ذهب سعفان العبيط يا أبي؟».

ابتلع مدحت ريقه وهو يعلم أنّهم أمام عقبةٍ جديدةٍ، لو تحدّث الفتى مع أيّ شخصٍ سينكشف أمرهم بالكامل، تبادل نظرة قلقٍ مع المدير وهو يقول للفتى أنّ سعفان لم يأت إلى هنا. تظاهر الفتى بالتصديق، لكنّه كان يعلم جيّدًا أنّ أباه يكذب.

كذلك عرف مدحت أنّ ابنه لم يصدّقه.

(4)

السادسة صباحًا

المدير ينام على الأريكة الموجودة في بهو البيت ومدحت ينام في الغرفة المجاورة له، يخرج الشّيخ من السرداب وتبدو عليه علامات التعب والإرهاق، اقترب من المدير وهزّه برفقٍ، فتح المدير عينيه وهو يشعر بالدهشة، استغرق بضع لحظاتٍ كي يدرك أين ينام ومن الشخص الذي يوقظه.

أشار له الشيخ بإصبعه على شفتيه في إشارةٍ للسّكوت، سكت وهو يهزّ رأسه متفهمًا، أشار له الشّيخ أن يتبعه فخرج خلفه إلى الخارج، وقفا أمام باب البيت وكلاهما يرتعد، أحدهما كان نائمًا وجسده دافئٌ، والآخر حبيس سردابٍ بصحبة جثّةٍ لساعاتٍ طوالٍ.

همس الشيخ: «دماء سعفان العبيط لم تستطع فكّ الرّصد».

سأله المدير بخيبة أملٍ: «وما العمل؟».

«أخبروني أنّ الدّم الذي سيستطيع فكّ الرصد يجب أن يكون دم شخصٍ من أهل البيت».

«من الذين أخبروك».

«لا تسأل عن أمورٍ لا تعنيك».

«حسنًا، الأمر تعقّد.. من أين سنأتي بدماء شخصٍ من أهل البيت».

سمع كلاهما صوتًا خافتًا فالتفتا بسرعة ليلمحا الطّفل يختبئ خلف الباب الخشبيّ ويسترق السمع، نظر أحدهما للآخر وفي ذهنيهما تختمر فكرةٌ واحدةٌ.

***

كان الشيخ يحمل جسد الصبيّ وجرح رأسه ينزف بشدّةٍ، لم يجدا حلًّا آخر خصوصًا مع خوف الصّبيّ ومحاولته الفرار أو الصّراخ، هكذا كان الحلّ الوحيد، وهكذا ضربا عصفورين بحجرٍ واحدٍ، تخلّصا من فمٍ ثرثارٍ مستعدٍّ لفضح سرّهم ووفّرا القربان المناسب لفكّ الرّصد

وصلا لباب المقبرة، أمسك المدير بالفتى وهو يحاول إخفاء رعدة خوفٍ انتشرت في جسده، بينما أخرج الشيخ سكّينًا حادًّا وذبح الصبيّ بدماءٍ باردةٍ، تركا الجثّة بجوار المقبرة، الدماء كانت تتغلغل وسط الرّمال التي تشربّتها بشراهةٍ غير عاديّةٍ.

ابتسم الشيخ للمدير، المارد الذي يحرس المقبرة قبل القربان.

لكنّهما لم يعرفا أنّهم انتقلوا بالأمر لمرحلةٍ أخرى.

مرحلةٌ مخيفةٌ، مخيفةٌ ومرعبةٌ للغاية.

***

في الصباح استيقظ مدحت على صوت صرخاتٍ ملتاعةٍ، انتفض قلبه بعنفٍ وهو يخرج من فراشه مسرعًا للخارج، باحثًا عن مصدر الصّرخات يقوده فضوله، الصرخات كانت تأتي من منزل السيدة زبيدة جارته العجوز بائعة اللّبن، كان رأس مالها ثلاث نعجاتٍ وخروفًا وبقرتين، تعيش من النقود القليلة التي تتحصّل عليها من بيع اللبن وبعض الأجبان لأهل البلدة، وفي هذا الصباح المشؤوم استيقظت لتجد أنّ كلّ ما تملك قد نفق وبأبشع طريقةٍ ممكنةٍ.

كانت الجثث تقبع في الحظيرة، المشكلة أنّ موتهم من المستحيل أن يكون طبيعيًّا، تلك الحيوانات المسكينة ماتت بطريقةٍ بشعةٍ، انقلبت أجسادها وخرجت أمعاؤها للخارج، دماؤها سالت لتملأ الحظيرة وأرضها، أمّا عن رائحتها فكانت شنيعةً للغاية، رائحة النّحاس المميّزة للدماء كانت تطغى على المكان بأكمله، رائحة الكبريت التي ميزها مدحت وعرف معناها، رائحة العفن الكريه التي تدلّ على حضور الجانّ، كلّ تلك الرّوائح اختلطت لتخيف الجميع.

وحده مدحت كان يعرف جيّدًا أنّ السرداب الذي حفروه قريبٌ للغاية من تلك الحظيرة وفهم جيّدًا أنّ للمقبرة يدًا فيما حدث، واساها بكلمتين خرجتا من شفتين مرتعشتين حاول تكوينهما بعقلٍ شاردٍ وهو ينسحب لمنزله، مرّ على غرفة ولده وفتحها بهدوءٍ ليطمئنّ عليه لكنّه لم يجده، ارتعش قلبه بقوّةٍ، عرف أنّ شيئًا سيّئًا سيحدث.. أم أنّه حدث!

أسرع للسرداب، كان الشيخ والمدير يقفان أمام باب المقبرة ويتأمّلان الرّمال الملوّثة بالدّماء، سألهم عن الصّبيّ فنظر أحدهما للآخر بدهشةٍ، لا يعرفان عنه شيئًا، قالا: إنّه من الأرجح أن يكون استيقظ مبكّرًا وخرج للّهو مع أصحابه، أتبع تلك الجملة المدير وهو يقول بخبثٍ: «جيلٌ فاسدٌ».

مطّ شفتيه وهو يتأمّل باب المقبرة البارز من وسط الرّمال، يبدوأنّ الشيخ والمدير حفرا طوال الليل؛ لأنّ الباب برز بأكمله، كان الذّهب يلمع، لكن غلب لمعانه لمعان الجشع في عيونهم، وخصوصًا مدحت الذي غاب ولده عن تفكيره، ليحلّ محلّه طمعٌ لا ينتهي، وهو يفكّر في طاقة القدر التي فتحت له، غمز له الشيخ وهو يقول: «كان سعفان اختيارًا موفّقًا». ابتسم فرحًا كالأطفال، سألهم الشيخ بطريقةٍ مسرحيّةٍ: «هل أنتم مستعدّون أيّها السادة؟».

قبل أن يجيبه أحدهم استكمل خطبته: «الآن وأمام أعينكم ستفتح واحدةٌ من أكبر وأهمّ المقابر الفرعونيّة، مقبرة أحد الكهنة، وكما تعرفون فمقابر الكهنة تكون ثريّةً وغنيّةً بالكنوز، بعد لحظاتٍ سنكون أمام سبقٍ لا قبل لنا بمثله.. مستعدّون؟».

ابتلعوا ريقهم وهم يهزّون رؤوسهم، أمسك بعتبته المعدنيّة وحاول أن يفتح باب المقبرة لكنّ صوتًا من بداية السرداب قاطعهم،كان صوت خطواتٍ خافتًا، ثمّ صار يعلو ويعلو، شيءٌ ما كان يقترب منهم يحثّ الخطى بصوتٍ حفيفٍ واضحٍ، بدأت الأفكار تضجّ في عقولهم حتّى ظهرت أمام أعينهم المومياء.

كانت مومياء فرعونيّةً نصف متحلّلةٍ تتحرّك نحوهم ببطءٍ والشّرّ يبدو جليًّا في عينيها التي لم تتحلّل بعد مع أنّها ابيضّت.

***

تراجعوا للخلف والخوف يسكن قلوبهم بأكملها فلا مكان للأمن في قلوبهم الآن، التصقت ظهورهم بالباب الذهبيّ، لا مفرّ من مواجهة المومياء العائدة للحياة، بلغةٍ عربيّةٍ فصحى سليمةٍ لا تشوبها شائبةٌ تصرخ فيهم بغضبٍ: «هل تجرؤون على اقتحام المقبرة؟ هل تجرؤون على تدنيسها أيّها الأوغاد».

أمسك الشيخ بسكينه بيده المرتعشة، بينما أمسك المدير بالعتلة الحديدة التي وضعها الشيخ أرضًا، وحده بقي مدحت دون شيءٍ يدافع به عن نفسه، اقتربت المومياء منهم، رائحتها كريهةٌ تملأ المكان فتزكم الأنوف، أشار لها الشيخ بسكينه محاولًا استجماع شجاعته: «تراجع أيًا كنت وإلَّا ستلقى عقابًا لا تحلم به».

ضحكةٌ شريرةٌ آثمةٌ تردّد صداها في السرداب بأكمله أتت من بين شفتي المومياء قبل أن تسأله ساخرةً: «هل تهدّدني؟ كيف تجرؤ أيّها الفاني؟ هل تعتقد أنّ عشيرة الجنّ التافه التي تحتمي بها أقوى منّي؟».

ابتلع الشيخ ريقه بصعوبةٍ وجبهته تمتلئ بالعرق البارد، عرف أنّه أضعف من مواجهة هذا المارد، ارتعد بشدّةٍ وهو يحاول أن يجد ردًّا، لكنّه كان أضعف من المواجهة، شعر مدحت بالخوف من وقوفه وحيدًا أعزل بدون سلاحٍ يحميه، بحث أرضًا عن شيءٍ يدافع به عن نفسه لكنّ السرداب كان كالأرض القاحلة وربّما أعماه الخوف عن ضالّته فتاه عنها!

اقتربت المومياء فاشتدّ خوفهم، أعمتهم الرائحة الكريهة فاهتزّت القلوب وجفّ الدّم في العروق، بحث مدحت كالمجنون عن شيءٍ يدافع عن نفسه خصوصًا عندما لمح الشّرّ يتراقص في عينيها، لم يجد سوى جذعٍ خشبيٍّ يقف

مستندًا إلى جدار السرداب، انحنى وجذبه بشدّةٍ ورفعه عاليًا دون أن يدرك ما فعل!

ضحكةٌ أخرى تردّد صداها في السرداب، كانت آتيةً من الجحيم، اختفت المومياء فجأةً كما ظهرت فجأةً، كما لو أنّها كانت سرابًا، لكنّ الصوت الذي سمعوه لم يكن سرابًا، كان أمرًا واقعًا، القطعة الخشبيّة التي جذبها مدحت تسبّبت في انهيار أجزاءٍ كبيرةٍ من السرداب ولو لم يخرجوا حالًا سيدفنون داخل السرداب.. للأبد.

صرخ الشيخ بصوتٍ عالٍ مليءٍ بالخوف: «هيّا.. هيّا أيّها الأغبياء».

جروا بخطواتٍ سريعةٍ يتجنّبون الصّخور والرّمال التي تحاول دفنهم أحياء، وصلوا لباب السرداب في اللحظات الأخيرة وهم يلقون بأجسادهم للخارج قبل أن تملأ الرمال والصخور السرداب فتسدّه للأبد.

سأل المدير وهو يتنفّس بصعوبةٍ، سنّه لم يعد يسمح له بمثل هذا المجهود: «ما تلك المومياء المخيفة؟».

أجابه الشيخ وهو ينفض الغبار عن ملابسه: «هلاوس لعينةٌ». سأل مدحت بذهولٍ: «ماذا تقصد؟».

أجابه بنفاذ صبرٍ: «أجاد الفراعنة وضع أفخاخٍ في

المقابر الهامّة، تلك الأفخاخ يحتوي بعضها على غازاتٍ سامّةٍ، ويحتوي البعض الآخر على غازاتٍ تسبّب الهلاوس والتهيّؤات؛ كي يصيبوا اللّصوص بالخوف، فيتركوا المقبرة ويفرّوا هاربين، هذا ما واجهناه، وهذا ما رأيناه».

سأله مدحت عن الماشية التي نفقت في البيت المجاور، فاضطرّ الشيخ لشرح الأمر سريعًا، وهو ينظر نحو باب السرداب، وهو يخشى ظهور المومياء مرّةً أخرى، أجابه الشيخ باقتضابٍ: «تلك غضبة المارد». ظهرت علامات عدم الفهم على مدحت، تابعهما بعينيه وهم يستعدّان للخروج من البيت، قال الشيخ لمدحت: «احرص على عدم فتح السرداب.. وانس الأمر تمامًا.. وأحكم إغلاقه جيّدًا».

أجابهم وهو يقف: «بالطّبع.. فالسرداب به جثّةٌ».

خرج الشيخ من البيت، بينما أجابه المدير، وهو يشعر بالذنب: «السرداب به جثّتان». لم يفهم مقصده، ابتسم الشيخ زغلولٌ بسخريةٍ وهو يقول ببرودٍ: «جثّة سعفان العبيط، وجثّة ولدك.. ألم تسأل نفسك كيف فتحت المقبرة أيّها الأبله؟».

سيطر الغضب عليه، ارتجف بعنفٍ وهو يقترب من الشيخ زغلولٍ ويمسكه بقوّةٍ، كان سيأكله أكلًا، لعلّ نار الفقد والغضب تهدأ قليلًا، صرخ بوحشيّةٍ وهو يمسك بجلبابه

بعنفٍ، لكنّه نسي شيئًا مهمًّا، نسي أنّ هناك ثالثًا لهم، وهذا الثالث مشتركٌ في الخيانة، شعر بصخرةٍ ضخمةٍ تصطدم برأسه من الخلف، التفّ بسرعةٍ وهو يضع يده على رأسه قبل أن يتأمّلها وهي مليئةٌ بالدماء، قبل أن يتكلّم شعر بوعيه ينسحب وبالظّلام يسيطر، كان أضعف من أن يقاوم.

ترك جسده يرتطم بالأرض بقوّةٍ وهو يفقد الوعي من تأثير الصدمة.

كانت كلّ تلك الأحداث أكبر من قدرته على الاحتمال.

(5)

عند هذا الحدّ انتهت القصّة التي يعرف أغلب العامّة بعض تفاصيلها، لكنّها لم تنته بالنسبة لمصدرنا الذي رفض أن ينصاع للأوامر الرسميّة التي أنهت الأمر تمامًا، فتح ملفّ القضيّة بشكلٍ غير رسميٍّ، ودأب على القراءة فيها ودراستها كلّ ليلةٍ.

وتحوّلت سريعًا من قضيّةٍ مغلقةٍ عاديّةٍ من تلك الّتي يهوى القراءة فيها إلى أمرٍ يشغله تمامًا، جلس في مكتبه، وهو يفكّر في القضيّة وبعض تفاصيلها، أفاق من خيالاته على صوت الساعي يسأله بأدبٍ: «هل تأمرني بشيءٍ آخر؟». شكره وهو لم يستعد كامل تركيزه بعد، سأله زميله بسخريةٍ: «فيم تفكّر؟.. هل هو حبٌّ جديدٌ؟».

ابتسم ابتسامةً باهتةً وهو يقول: «بل قضيّةٌ قديمةٌ».

قام زميله من مقعده خلف مكتبه وهو يقول بنفاذ صبرٍ: «وهل تنتهي القضايا الجديدة كي نتّجه للقديمة أم أنك لا تعرف للراحة معنًى؟». لدواعي السّرّيّة سنشير إلى زميله باسمٍ مستعارٍ النقيب حازم صلاح، نقيب شرطةٍ قاسٍ لا يعرف التخاذل ولا التهاون، لكن كان مثل الكثيرين يميلون للقضايا سهلة الحلّ، وينفر من تلك الصعبة، طويل القامة،

يملك جسدًا قويًّا مفتول العضلات حليق الرأس والوجه، أمّا الآخر فهو مصدر هذه القصّة وسنشير إليه باسم الرّائد إبراهيم عادل صديق عمره وزميل مهنته، قصير القامة قليلًا يميل للتّحول لكنّ عينيه تلتمعان في ذكاءٍ متّقدٍ، يميل للقضايا الصعبة وتلك شبه المستحيلة.

أمسك إبراهيم بملفّ قضيّةٍ وهو يقول: «تلك القضيّة تؤرّقني وتقضّ مضجعي».

أمسك زميله بالملفّ وهو يقول له: «وما نوع تلك القضيّة؟». أجابه: «قضيّة قتلٍ حدثت في إحدى القرى لكنّ تفاصيلها غريبةٌ للغاية». صمت قليلًا قبل أن يقول لزميله: «هل تملك القليل من الوقت لأقصّ عليك بعض تفاصيلها؟». جذب مقعدًا وجلس أمام زميله الذي بدأ بشرح بعض تفاصيل القضيّة باختصارٍ شديدٍ.

***

اشتكى جيران عزيز السّيّد عطيّة المدير العامّ بإحدى المصالح الحكوميّة، والّذي يعيش وحيدًا بعد وفاة زوجته من رائحةٍ كريهةٍ تنبعث من شقّته وحين اقتحمها أحدهم وجدوه مقتولًا بوحشيّةٍ في إحدى الغرف.

لكنّ اللغز الغريب كان في الكتابة الهيروغليفيّة التي رسمت

على الحائط بالدّم، جملةٌ واحدةٌ لكنّها مخيفةٌ:

(هذا جزاء الذي يدنّس مقبرة الكاهن).

أثبت الطّبّ الشرعيّ حقيقتين في غاية الغرابة، الأولى أنّ تلك الجملة المخيفة كتبت بدماء الضحيّة، وتوقيت كتابتها كان قبل توقيت إعلان الوفاة، وهذا يعني أنّها كتبت وضحيّتنا على قيد الحياة.

بينما الثانية أنّ القاتل في هذه الجريمة تمساحٌ!

نعم، لم تكتب الكلمة بشكلٍ خاطئٍ، تمساحٌ، وجدوا آثار أقدامه وحركته على الأرض وعلى السجّادة الموجودة بالغرفة بينما أثبت الطبّ الشرعيّ أنّ كلّ الجروح تقريبًا سبّبتها أسنان تمساحٍ بشكلٍ لا يقبل النقاش، القاتل تمساحٌ.

هل لكم أن تخبروني كيف دخل تمساحٌ لشقّة شخصٍ وقتله، وكتب جملة تهديدٍ على الحائط بدمائه قبل أن يقتله؟

أم أننا بصدد البحث عن قاتلٍ متسلسلٍ يسير في الشارع متجوّلًا بصحبة تمساحه الأليف الذي ينفّذ جرائمه بدلًا منه!

ثمّ أيّ مقبرةٍ وأيّ كاهنٍ؟

هناك لغزٌ غريبٌ.

وطبعًا لأنّها قضيةٌ غريبةٌ تمّ إغلاقها وقيّدت ضدّ مجهولٍ،

وتمّ تجاهلها بشكلٍ كاملٍ، بينما صدرت الأوامر عن وزارة الداخليّة بحظر النّشر كي لا يصيب المواطنين الذّعر.

***

رفع النقيب حازمٌ حاجبيه في دهشةٍ، ابتسم الرائد إبراهيم وهو يقول: «هل أصابتك الدهشة؟».

هزّ حازمٌ رأسه، قال له إبراهيم: «والآن سأزيد دهشتك أطنانًا بسرد تفاصيل القضيّة الأخرى قبل أن أقول لك النتيجة التي توصّلت لها». انتبه حازمٌ بينما بدأ إبراهيم في الحديث:

«القضيّة الثانية حدثت في قريةٍ أخرى تبعد عن الأولى حوالي أربعين كيلومترًا، الضحيّة هنا شيخٌ دجّالٌ شهيرٌ للغاية يدعى زغلول الضّبع، له مريدون ودراويش فوق قدرتك على العدّ ، لكنّه في يومٍ وجد مقتولًا في فراشه، ينام في شقّةٍ بمفرده بعيدًا عن زوجتيه وأولاده، حين صعدت زوجته الثانية لتوقظه وجدته مقتولًا ببشاعةٍ، وفورًا علا صوت صرخاتها الملتاعة فوق أيّ صوتٍ آخر.

الغريب كان في تطابق القضيّة مع سابقتها بشكلٍ غريبٍ، الضحيّة وجد مقتولًا ببشاعةٍ وعلى جدار الغرفة جملةٌ مكتوبةٌ بالهيروغليفيّة:

(وهذا جزاء من يتطاول على الآلهة)

وهنا أتى دور الطبّ الشرعيّ الذي آتى تقريره مثيرًا للحيرة، الجملة كتبت بدم الضحيّة وأثناء كتابتها كان ضحيتنا حيًّا، بينما الجاني كان غريبًا أيضًا.

كان ثعبانًا، وجدوا آثار زحفه في أرجاء المنزل بينما كانت العلامات على رقبة المجنيّ عليه ترجع لثعبان كوبرا قويٍّ، خنقه قبل أن يعتصر جسده ويمزّق أطرافه.

وللمرّة الثانية تمّ إغلاق القضيّة وقيّدت ضدّ مجهولٍ وتمّ تجاهلها بشكلٍ كاملٍ بينما صدرت الأوامر عن وزارة الداخليّة بحظر النّشر لنفس الأسباب السابقة».

انتهى إبراهيم من حديثه وهو يقول لحازمٍ: «والآن هل أنت مستعدٌّ لسماع نظريّتي؟». هزّ رأسه وهو يشعر بالحماس، بهدوءٍ شديدٍ أخبره إبراهيم بكلمتين، لكنّهما تركا أثرًا عظيمًا في نفس حازمٍ: «لعنة الفراعنة».

«لا أفهم». «سأخبرك شيئًا.. لكن عليك التركيز، القضيّة الأولى وبالتّحديد في الجملة المكتوبة على الحائط تمّت الإشارة لكاهنٍ، وربما تعود تلك الإشارة للكهنة الفرعونيّين، والجاني كان تمساحًا، وبقليلٍ من البحث اكتشفت وجود إلهٍ فرعونيٍّ يدعي سوبيك، وهو إلهٌ فرعونيٍّ تمّ تمثيله

بجسد إنسانٍ ورأس تمساحٍ، كان سوبيك إله السلطة الملكيّة والخصوبة والبراعة العسكريّة، ويتمتّع سوبيك بوجودٍ طويل الأمد في عائلة الآلهة المصريّة، فمن الدّولة القديمة عبورًا للفترة الرومانيّة.

والآن تمّ الربط بين التمساح والجملة الفرعونِيّة في القضيّة الأولى.

أما في القضيّة الثانية تمّت الإشارة للآلهة، وبالطّبع تلك الإشارة تعود على الآلهة الفرعونيّة ولأنّني تعلّمت من القضيّة الأولى، فالأمر كان أسهل تلك المرّة، الإلهة واجيت، وكانت تصوّر على هيئة امرأةٍ برأس ثعبانٍ، واجيت كانت تعرف بحامية البلاد والفراعنة والآلهة الآخرين.

والآن حلّ اللّغز يكمن في الرّبط بين كلّ ما سبق.

القضيّتان مترابطتان، والحلّ يكمن في فهم العلاقة بينهما وربطها بلعنة الفراعنة فقط لا غير».

(6)

وبناءً على رغبات وإلحاح الرّائد إبراهيم والنّقيب حازمٍ سمح لهم رئيسهم المباشر بفتح القضيتين مرةً أخرى لمحاولة حلّها، قرّرا أن يبدئا منذ البداية، علاقة المدير بالشّيخ زغلول، وفي الحقيقة انكشف السّرّ سريعًا، الشيخ زغلول مشهورٌ في قريته أنّ قبيلةً من الجنّ مسخّرةً له لتساعده في البحث عن مقابر الآثار الفرعونيّة، وبوجود الكتابة الهيروغليفية على حائط كلٍّ من الضّحيّتين، صار الأمر واضحًا، كلاهما كان مشتركًا في التنقيب عن مقبرةٍ ما.

بقليلٍ من البحث وجدا أنّ منزل هذا ومنزل ذاك لا أثر فيهما يدلّ على بحثٍ أو تنقيبٍ، إذًا هناك شخصٌ آخر اشترك معهما في التنقيب وبحثا عن المقبرة تحت منزله، هنا كان عليهما فقط البحث عنه وبقليلٍ من المجهود عرفا أنّ المدير ومدحت في إجازةٍ مفتوحةٍ رغم أنّهما ليسا أصدقاء.

ومن هنا توجّهت الأنظار كلّها تجاه مدحت!

قرّرا أن يتوجّها لبيت مدحت بمفردهما دون أيّ قوةٍ من القسم، بمجرّد وصولهما التفتت إليهما الأنظار كأيّ غريبٍ سيدخل القرية، وصلا لبيت مدحت بعد أسئلةٍ قليلةٍ، أهل القرية أناسٌ طيبون للغاية، طرقا على الباب لكن لم يأتهما ردٌّ

من الدّاخل.

قرّر إبراهيم أن يقتحم البيت لكنّ حازمًا نصحه أن يصبر قليلًا، دفع الباب بيده فوجده مفتوحًا، دخلوا بصمتٍ وبخطواتٍ بطيئةٍ، تحسّس حازمٌ مسدسه في حذرٍ لكنّ إشارةً من إبراهيم جعلته يتركه مكانه، دلفا للبيت ووسط الظلام الدّامس الذي يسيطر على البيت رغم كونهم في النّهار، لكنّهم لاحظوه، يجلس وحيدًا في غرفةٍ مظلمةٍ، ينظر للأرض في يأسٍ ولا يكاد يتحرّك، نحل مدحت كثيرًا عمّا قبل، طالت لحيته وثار شعره، تهرّأت ملابسه، كان هاتفه المحمول بجواره على الأريكة لكنّه مغلقٌ، توقّف عن الرّدّ عليه منذ حينٍ، زوجته وباقي أولاده مازالوا في الخارج بينما صغيره الحبيب مدفونٌ في السرداب المهدّم.

طرق إبراهيم على باب الغرفة برفقٍ، تنبّه لهم مدحت لكنّه لم يتحرّك، دخلا وبحث حازمٌ عن زرّ الإضاءة حتّى وجده، أنارت الغرفة بفضل مصباحٍ صغيرٍ، ظهر الضّيق على وجه مدحت، وأشاح بوجهه بعيدًا، سأله حازمٌ بقسوةٍ: «هل أنت مدحت؟». رفع رأسه وهو يتأمّلهم بأعينٍ انطفأ فيها الأمل وفقدت حماسها للحياة قائلًا: «أجل.. أنا مدحت.. وأجل.. أنا القاتل». نظر أحدهما للآخر في دهشةٍ، حاول حازمٌ أن يخرج أصفاده لكنّ إبراهيم أشار له أنّه غير مضطرٍّ لفعل هذا، مدّ

يده لمدحت الّذي أمسكها برفقٍ، وهو يقف قبل أن يمشي خلفهما منكّس الرّأس.

قبل أن يخرج من باب البيت نظر للغرفة التي تحتوي على السّرداب قبل أن يقول بنبرةٍ ملأها الحزن: «أنا آسفٌ يا صغيري.. سامحني».

***

«قتلتهما لأنّهما كانا يستحقّان.. لو وجدتموني فلن أقاوم أنا أستحقّ العقاب.. لو لم تجدوني فقد نالا ما يستحقّان.. في كلّ الأحوال أنا الفائز».

لم يقل غيرها طوال التحقيق، سؤالٌ واحدٌ فقط اختلفت فيه إجابته، حين سأله وكيل النيابة عن الكيفيّة التي قلّد بها آثار التمساح والثّعبان، قال وهوزائغ العينين كالمجذوب: «حين يقتلون ولدك تكون على أهبة الاستعداد لتتعلّم وتنفّذ أيّ شيءٍ، وكلّ شيءٍ فقط، لتطفئ نار قلبك وتريح ولدك في قبره». قرّروا أن يدخل السجن ليلةً قبل أن يعرض على النيابة صباحًا، خصوصًا وأنّه اعترف بفعلته ورفض تعيين محامٍ، ونظرًا لسوء حالته النفسيّة قرّروا أن يضعوه في زنزانةٍ خاصّةٍ وعزله بعيدًا عن باقي المجرمين.

في الصّباح قرّر إبراهيم أن يخرجه من الحبس بنفسه وأن

يصحبه للنيابة، كان متعاطفًا معه، لكنّ فضوله كان أقوى من تعاطفه، يريد معرفة السبب الذي دفعه لقتلهم بدمٍ باردٍ؟ يريد معرفة كيف قتلهم وصوّر الأمر كأنّه انتقامٌ من آلهة الفراعنة؟ يريد معرفة من أين أتته فكرة التّظاهر بأنّ الفراعنة عادوا بلعنتهم لينتقموا منمدنّسي موتهم؟ يريد معرفة كيف تبلورت الفكرة في رأسه؟ يريد معرفة كيف نفّذ جريمتيه بتلك البراعة؟ كيف نجح في الابتعاد عن الشبهات؟

اقترب من الزنزانة بخطواتٍ بطيئةٍ، يشعر بشيءٍ خفيٍّ يجذبه بعيدًا عنها، كلّما اقترب منها شعر بالجوّ يزداد برودةً، رغم أنّنا في فصل الصيف، انتصب شعر جسده وسرت فيه قشعريرةٌ باردةٌ، ابتلع ريقه بصعوبةٍ وهو يقاوم رغبته في الفرار من هنا كأنّ شياطين الجحيم تطارده.

وضع المفتاح في قفل الزنزانة وفتحها بيدٍ مرتجفةٍ.

لكنّ المشهد الذي رآه سيطارده طوال حياته وسيسحق سلامه النفسيّ بلا هوادةٍ.

جثة مدحت كانت مقلوبةً رأسًا على عقبٍ، تناثرت أمعاؤه في كلّ مكانٍ، لطّخت دماؤه كلّ جدران الزنزانة، حتّى السقف طاله بضع لطخاتٍ، جلده كان بالدّاخل بينما دماؤه وأعضاؤه الداخليّة كانت بالخارج، رقبته مكسورةٌ بعنفٍ، يداه وقدماه التووا بشكلٍ غير طبيعيٍّ، قتل مدحت.. قتل وعلى وجهه

أبشع نظرة رعبٍ قد تراها في حياتك.

هذه المرّة قتل في السجن، وسط المئات من رجال الأمن وقتل بشكلٍ وحشيٍّ، من المستحيل أن يكون هذا فعلًا بشريًّا، قتل وترك شيئين لن ينساهما طوال حياته.

نظرة الرعب التي علت ملامحه والجملة التي كتبت على جدران زنزانته باللّغة الهيروغليفية

(حياتك أيّها البشريّ لم تكن تستحقّ كلّ هذا العناء.. روحك المدنّسة انتهى وقتها.. وقريبًا.. سيكون الحكم للملك.. يومها سترى الأرض ما لم تتخيّل من عواقب).

مات وترك إبراهيم يبلع ريقه بصعوبةٍ وهو يسأل نفسه ألف مرّةٍ عن حقيقة لعنة الفراعنة!

الحكاية الثانية: إدا Ada تقول ....

قصةٌ لـ كين كول- من إنجلترا

ترجمة: محمد عصمت

انتزعها الصوت من حلمها

استيقظت لتنظر في الظلام، كان ضوء القمر يعكس ظلالًا على الحائط المقابل لها، وخارج نافذتها تثور الرياح وتعبر من بين الأشجار محدثةً همسًا رقيقًا

لم يكن هذًا هو ما أيقظها.

حاولت أن تتذكر، لكنّ الصوت تبخر تمامًا مثل حلمها، ربما كانت تحلم فحسب؟

رفعت الغطاء عن قدميها، قبل أن تسندهما للأرض الخشبية الباردة، انتظرت سماعه مرةً أخرى.

كان البيت واسعًا، مساحته ضعف مساحة المنازل المماثلة له في الثّمن، ورغم أنها هنا منذ أسبوعٍ فقط، إلّا أنها لم تساورها الشكوك بشأن الأرضية المتصدعة والأبواب التي تزأر حين تفتح، ليس لأنها لا تهتمّ، ولكن لأنّها تحبّ كلّ شيءٍ في المنزل، منزلها، ممتلكاتها الشخصية، ورغم أنها عرفت

تاريخ المنزل، إلّا أنّ السقف المعلّق والسلالم المصنوعة من خشب البلوط القويّ كان من الصعب مقاومتهما، وثمنه المنخفض جعل الأمر سهلًا.

يقولون إنّ لكلّ بيتٍ قديمٍ قصةٌ، وبعض القصص أسوأ من الأخرى، ولكن بدون تلك القصص كيف سيتحمل المرء قيمة بيتٍ مثل هذا، أو أيّ بيتٍ آخر في الواقع.

وفي أثناء جلوسها في الظلام، أدركت أنّ تلك القصص لم تعد غير مهمةٍ،

وبعد دقيقةٍ من الصمت، هزّت رأسها وهي تهمس لنفسها: « لا تكوني سخيفةً»، تمددت في فراشها مرةً أخرى وحاولت النوم، فأهلها قادمون بالغد لزيارتها للمرة الأولى في بيتها الجديد، ويجب عليها الاستيقاظ مبكرًا، تريد أن يكون كلّ شيءٍ رائعًا لاستقبالهم.

أغلقت عينيها لدقيقةٍ، لكنّ الصوت عاد مرةً أخرى.

جلست باستقامةٍ

سمعته جيدًا تلك المرة وبوضوحٍ، لم يكن هذا صوت تصدّع الأرضية.

كان صوتًا كأنّه صوت شخصٍ.

تردد في داخلها هاجسٌ مخيفٌ «هناك شخصٌ في المنزل»

تمنت للحظةٍ لو أنها في شقتها القديمة في الدّور الثالث، محاطةٌ بالجيران المزعجين، حيث ستتصل بالشرطة مع أول بادرة شكٍّ، تسارعت ضربات قلبها بشدةٍ.

بحقّك، فكرت، لن تتمددي هنا فحسب

أسندت قدميها للأرض مرةً أخرى، هي غريزتها فحسب، شيءٌ يدفعها للدفاع عن نفسها، هي ليست تلك الفتاة الصغيرة الجبانة، هذا بيتها، لن تسمح لمقتحمٍ أن يجردها من الأمان في عقر دارها، تحتاج لخطةٍ.

المطبخ، ثمة سكاكين في المطبخ، لكنه بعيدٌ للغاية ولا تعرف هل ستصل إليه بأمانٍ أم لا، هنا بالأعلى، هي لا تملك أيّ شيءٍ، بخلاف مضرب بيسبولٍ يقبع في الخزانة، أجل ... مضرب شقيقها القديم، أعطاها إياه مازحًا: « في حال سمعت أية أصواتٍ غريبةٍ ليلًا». وها هو الآن ذلك الصوت الغريب يأتيها من الطابق السفليّ

مشت إلى الخزانة على أطراف أصابعها، الصوت يزداد وضوحًا واقترابًا، فكرت، إنه ليس صوت طرقةٍ، وبالطبع هو ليس صوت قطتها التي تعيث بمنضدة الطعام فسادًا، ولن تتوقف حين تفتح الضوء لتمسك بها.

لم يكن صوت سلال القمامة وهي تصطدم ببعضها بفعل الرياح، أو صوت طبقٍ اختلّ توازنه في الحوض، ربما يكون طبقًا تحرك وسيترك لها قصة رعبٍ مخيفةً تنهيها بضحكةٍ مرحةٍ.

هذا الصوت ليس سوى صوت شيءٍ واحدٍ، صوت شخصٍ غريبٍ في بيتها لم يدعه أحدٌ.

فتحت باب الخزانة ومدت يدها في الظلام، بحثت في ركنها البعيد، ها هو، أمسكته بقبضتها.

رفعت المضرب واستدارت، وماذا ستفعل الآن؟ هل ستختبئ؟ ستزحف تحت الفراش؟ ستتصل بالشرطة؟ أين هاتفها؟؟ فكرت لمدة دقيقةٍ.

توقف قلبها للحظةٍ، وتذكرت أنها تركت هاتفها متصلًا بالشاحن في المطبخ، لن يساعدها كثيرًا وهو بعيدٌ هكذا، أرهفت سمعها، لا وجود لأيّ صوتٍ، لا شيء.

ربما رحل المقتحم؟

تستطيع الانتظار هنا بصحبة مضربها حتّى الصباح، لكنّ هذا لا يبدو خيارًا جيدًا، هذا هو بيتها وعليها أن تدافع عنه، على الأقلّ لا تستطيع الاختباء في الظلام وعدم معرفة ما

يجري.

لا تريد القفز من فراشها وقلبها يدقّ بعنفٍ كلما سمعت صوتًا، هذا النوع من العادات يكتسب بسهولةٍ، رأت آخرين يعانون من هذا الأمر، هؤلاء الذين يتعين عليهم التأكد من أقفال الأبواب عدة مراتٍ قبل الخلود إلى النوم، ويبقون نصف مستيقظين في الليل، يخشون النوم.

فجأةً تكرر الصوت مرةً أخرى

اللعنة!، هذا بالتأكيد صوتٌ واضحٌ، لم يكن الأمر مجرد أضغاث أحلامٍ، كان حقيقيًا.

مشت إلى باب غرفتها، حاولت ألّا تحدث أيّ صوتٍ، أدارت المقبض وفتحت الباب.

كانت الصالة فارغة، وبابا غرفتي النوم الأخريين مغلقين

حين وصلت للسّلم، توقفت، ونظرت للأسفل، لا وجود لأيّ حركةٍ.

« مرحبًا؟ »، نادت وهي تحاول أن يبدو صوتها واثقًا: « لقد اتصلت بالشرطة منذ قليلٍ». توقعت أن تسمع صوتًا حينها، صوت أقدام شخصٍ يفرّ من المطبخ إلى الباب الخلفيّ، لكنّ هذا لم يحدث، في الحقيقة لم يحدث أيّ شيءٍ

ربما تكون قد حلمت بالصوت مرتين؟

اتخذت قرارها، قرارًا لا رجعة فيه، ستنزل للأسفل، أمسكت المضرب بقوةٍ

وبدأت تنزل درجات السّلّم.

« مرحبًا »، نادت تلك المرة بصوتٍ أعلى: « من الأفضل أن ترحل قبل وصول الشرطة». وببطءٍ، حاولت أن تسمع أيّ صوتٍ غريبٍ، عبرت للغرفة الرئيسية، المضرب في يدها اليمنى، زحفت بجانبها الأيسر على الحائط، أغلقت فمها وحاولت الحفاظ علي صوت تنفسّها، اهتزت يدها بعنفٍ وهي تضغط زرّ الإضاءة، أنارت الغرفة، لم يكن هناك شيءٌ في غير موضعه، لا شيء غير صحيحٍ، كلّ شيءٍ كان كما تركته من قبل.

تأكدت من إغلاق كلّ الأبواب والنوافذ.

قالت لنفسها: « حسنًا، ما الذي حدث بحقّ اللعنة». وفي تلك اللحظة، سمعته وصرخت من الخوف، أتى الصوت من خلفها مباشرةً:

« طائر القطرس الملكيّ طول جناحه يصل إلى إحدى عشرة قدمًا وأربعة أعشار القدم».

تحركت نحو مصدر الصوت، المطبخ.

أكمل الصوت:

« هو أكبر طائرٍ على قيد الحياة». طائرٌ؟، فكرت للحظةٍ، قبل أن تراه، هناك، على منضدة المطبخ

« يا ابن الـ .... »، ارتفع صوتها

ثمّ ضحكت، ضحكت حتّى اغرورقت عيناها بالدموع، الصوت كان ينتمي لإدا، النظام الصوتيّ الذكيّ الجديد الذي أهدته إليها صديقتها كهديةٍ للمنزل الجديد، النظام المتصل بالإنترنت، جهازٌ أسطوانيٌّ رماديّ اللون مصممٌ للردّ على الأسئلة وتنفيذ الأوامر الصوتية، تصاعد الغضب الممتزج بالارتياح في قلبها، الارتياح لأنها تيقنت أنها وحيدةٌ.

سألت « إدا »: « كم الساعة الآن؟». ردّ الصوت الآليّ: « الساعة الآن الثانية والنصف بعد منتصف الليل». هزت رأسها، آخر شيءٍ تحتاجه الآن هو الاستيقاظ في منتصف الليل، قالت: « إدا، أغلقي مصدر الطاقة». انطفأ مصباحه الأخضر الصغير، قبل أن يغلق ضوء المنزل بأكمله، وقفت في الظلام ممسكةً بالمضرب في يدٍ وهاتفها باليد الأخرى، توجهت للأعلى نحو فراشها، تشعر بالارتياح، لم ترد ترك الهاتف بالأسفل مرةً أخرى وكذلك لم ترد ترك المضرب.

قبل أن تنام مرّ سؤالٌ غريبٌ برأسها: إلى من كانت تتحدث إذا؟

***

« صباح الخير يا سوز Suz». مطّت جسدها وهي تتأوه بكسلٍ، هل حان الصبح حقًّا، خططت للاستيقاظ قبل وصول أهلها.

جلست أمّها بجوارها على الفراش وهي تقول: « الرقم السريّ الخاصّ بباب الجراج الذي أعطيته إلينا عمل بنجاحٍ، توقعت أن تستيقظي قبل الآن». همست لأمّها: « أعطني القليل من الوقت». كانت تحتاج للنوم

سألتها أمّها: « هل أنت مريضةٌ؟». تحسست جبهتها وهي تقول: « درجة حرارتك ليست مرتفعةً». وقفت بجوار الفراش وهي تقول: « أنا ووالدك هنا منذ ساعةٍ، حين خلدت للنوم بالأمس نسيت نافذةً مفتوحةً، يجب عليك ألّا تفعلي هذا،على الأقلّ في هذا المكان النائي، أغلقي نوافذك قبل النوم يا سوز». قالت بحيرةٍ: « أغلقتها جيدًا، أنا متأكدةٌ من ذلك». « قررنا أن نفاجئك أنا وأبوك، لن تشتري صغيرتنا بيتًا كلّ يومٍ، اعتقدنا أننا سنساعدك في ترتيب حاجياتك لكن يبدو أنك قمت بكلّ شيءٍ». قامت سوز Suz من فراشها واحتضنت أمّها قائلةً: « كان هذا سهلًا، أحضرت معي

ملابسي وبعض الصناديق، باقي الأشياء تركها أصحاب البيت السابقون في المنزل، لذا بعت أثاثي واحتفظت بأثاثهم، كان أثاثهم أجمل». قالت أمّها: « أجمل من أثاثنا أيضًا، هيا لنفطر سويًّا، استخدمت فرنك الرائع لصناعة بعض الأومليت».

***

دخلت سوز للمطبخ لتجد رائحة القهوة واللحم المقدد في استقبالها، كان والدها يجلس في نهاية المنضدة، يقرأ كتيّبًا، ذكّرها الأمر بطفولتها وجعل هذا الأمر صباحها جيدًا

صبت لنفسها كوب قهوةٍ وهي تجلس بجواره، غلب الشّعر الأبيض على رأسه وملأت التجاعيد وجهه كخنادق جلديةٍ صغيرةٍ، لكنّه بصحةٍ جيدةٍ، بل ربما هو أصحّ من أغلب الشباب، سألته: « ماذا تقرأ؟». « دليل التعليمات الخاصّ بجهاز إدارة المنزل الخاصّ بك، من المذهل ما يستطيع هذا الشيء القيام به». جهاز إدارة المنزل، إنه يتحدث عن إدا Ada

قالت: « هذا ما أخبروني به، أمرٌ رائعٌ». أخذت طبق الأومليت من يد أمّها وقطعة خبزٍ مقرمشٍ من الطبق الموضوع في وسط المنضدة.

قال: « كاد يميتنا فزعًا حين دلفنا للمنزل». أكدت أمّها الأمر

قائلةً: « أجل، عندما دخلنا للمنزل بدأ بالحديث، اعتقدنا أنّ هناك شخصًا ما في المنزل». « أجل، هو يفعل هذا دومًا ...». سألتها أمّها وهي تجلس على المنضدة وترشف من كوب قهوتها: « فيم ستستخدمينه على أية حالٍ؟». فكرت للحظةٍ وهي تقول: « لقد تلقيته كهديةٍ للمنزل الجديد ولم أجربه كثيرًا، أعتقد أنه يشغل الموسيقى ويجيب على بعض الأسئلة، أغلبها أشياء يجدها على الإنترنت». رفع والدها رأسه من الكتيّب وهو يقول: « بل يفعل أكثر من هذا، يتحكم في باب الجراج الخاصّ بك، يفتح ويغلق الأضواء، يقوم بضبط درجة الحرارة في المنزل، وتستطيعين أيضًا ربطه بهاتفك كما يبدو لك»

كانت تعرف أنّ هذه القطعة الرائعة من التكنولوجيا القابعة على منضدتها لن ترتبط بشيءٍ حتّى الآن، لكنّها تشكّ أن يستمرّ الأمر طويلًا، والدها على وشك الحصول على يومٍ رائعٍ، يحبّ التكنولوجيا كما تحبّ والدتها أمور البستنة تمامًا؛ الأمر الذي ذكّرها بشيءٍ.

توجهت لأمّها قائلةً: « أغلب النباتات الموجودة في الحديقة معمّرةٌ، ورغم إهمالها طوال هذا الوقت إلّا أنها بحالةٍ جيدةٍ». سألتها أمّها: « وماذا عن الخضروات؟، أعتقد أنّي رأيت بالخارج نبات الهليون وبعض شجيرات التوت، أعتقد أنّ

هناك القليل من الفراولة والتوت البريّ». ابتسمت سوز Suz قائلةً: « أجل». يبدو أنّ أهلها قد قاموا بجولةٍ حول المنزل ويبدو أنّ والدتها قد أعجبها ما رأت.

قال والدها: « سأقوم بربط هاتفك بإدا Ada والطابعة الخاصة بك، بهذه الطريقة ستتمكنين من القيام بمكالماتٍ وإرسال رسائل نصيةٍ وطبع ما تريدين من خلالها». أجابته: « حسنًا يا أبي، افعل ما شئت». أومأ برأسه وهو يقول: « هذا الشيء يتحكم في كلّ شيءٍ، إذا أردت أستطيع طباعة قائمةٍ بكلّ شيءٍ طلبته منه، يستطيع أيضًا أن يطبع محادثة كاملةً لمدة دقيقتين جرت منذ أسبوعٍ في المحيط الخاصّ به». « المحيط الخاصّ به؟». « أجل، مثل الآن، هي الآن تستمع إلينا وتنتظر سماع اسمها». « هي؟». قال: « حسنًا، تستطيعين أن تطلقي عليها الشيء، تستطيعين أن تطلبي منها أن تقوم بطباعة كلّ ما قيل خلال الدقيقتين الماضيتين». تبدلت ملامح وجهها، لم تحبّ الأمر، لم تحبّ فكرة أنّ هناك من يتنصت عليهم، وإن كان ليس طوال الوقت، لكنّ والدها يعتقد أنه شيءٌ رائعٌ.

وقفت والدتها لتحظى برؤيةٍ أفضل لجهاز التحكم الخاصّ بإدا Ada وهي تقول: « حسنًا سأقوم بفصلها، إذا أردت سبّ جيراني بألفاظٍ بذيئةٍ في بيتي، فلا أريد لآلةٍ ما أن تقوم بنشر

ما قلت في الحيّ بأكمله». ابتسم والدها وهو يهزّ رأسه، لم يردّ عليها، ليندا والترز لم تقم يومًا بسبّ أيّ شخصٍ.

مشت والدتها نحو المدفأة وهي تقول: « سأقوم بوضع بعض الأزهار في مزهريتك». كانت سوز تعرف أنها تقوم بتغيير الموضوع، استكملت: « لكن يجب أن تنظّف قبل أن تستعمليها». نظرت للخلف لترى المزهرية ذات اللون النّحاسيّ المليئة بزهور الأقحوان.

حملتها والدتها وهي تقول: « رائعةٌ، وأثقل ممّا تبدو عليه». حين قالت والدتها « رائعةٌ »، عرفت سوز أنها تقصد « قبيحةً »، الأمر الذي كان حقيقيًا، كانت المزهرية ضخمةً وقبيحةً، سألتها: « ما المدة التي خططتم لبقائها هنا؟». « سنبقى هنا حتّى نهاية الأسبوع، إذا كان هذا يناسبك». كان الأمر يناسبها جدًّا

***

كانت نائمةً حين أيقظها الصوت

فتحت عينيها في الظلام وتمطّت قائلةً: « مرةً أخرى؟، حقًّا؟». كان الأمر يتكرر

اعتدلت وأسندت قدميها على الأرض، الصوت ليس صوت والديها، لقد ذهبا للنوم منذ ساعاتٍ طويلةٍ.

تكرر الصوت مرةً أخرى، وفي هذه المرة سمعته جيدًا: « الفأر هو حيوانٌ تديّيٌ صغيرٌ». تنهدت وهي تفكر: إنها تلك الآلة الصغيرة، حاولت أن تعود للنوم لكنها فكرت في الشيء الذي سيستمرّ في الحديث طوال الليل، لم ترد له أن يقوم بإيقاظ والديها.

خلال دقيقةٍ كانت بالخارج، فتحت بابي الغرفتين وتفحصتهما، والداها نائمان بسلامٍ، جيدٌ، يحتاجون للراحة، اليوم كان ممتعًا لكنّه أيضًا كان يومًا طويلًا، كانوا نشطاء للدرجة التي ستنسيك أنهم في السبعينيات من عمرهم.

توجهت للطابق السفليّ، وحين وصلت للسّلّم، سمعت صوتًا جعلها تتوقف، صوتًا يبدو مثل الضحكة

ضحكة طفلٍ

هل تستطيع إدا الضحك؟

دخلت المطبخ وأضاءته

نادت عليها: « إدا Ada»

أضاء الضوء الأخضر الموجود في جسدها

قالت إدا Ada : « معمّرٌ هي كلمةٌ تستخدم كاسمٍ وكفعلٍ، كفعلٍ تستخدم لوصف الأشياء التي تعيش طويلًا، وكاسمٍ

تستخدم لوصف النباتات التي تعيش لفتراتٍ طويلةٍ، أي أنها تصف النباتات الذي يزيد عمرها عن سنتين من تاريخ زراعتها». اقتربت منها

سيطر الصمت للحظاتٍ، قبل أن يضيء الضوء الأخضر مرةً أخرى وإدا Ada تقول: « لم أفهم سؤالك». قالت سوز: « لم أسألك أية أسئلةٍ». أجابتها إدا Ada: « لا، فطائر القرع العسليّ تصنع من القرع العسليّ المطبوخ والمهروس». كان الأمر مخيفًا، تحسست جسدها بذراعيها

« التسمم بالكربون هو خطرٌ يهدد الحياة، الأعراض الأولية تشمل الدّوار، والصّداع والارتباك، ثمّ يتبعها فقدان الوعي والوفاة، إذا شككت في إصابتك بالتسمم بالكربون فمن فضلك غادر المنشأة واتجه للهواء الطلق حالًا». شعرت سوز Suz بالارتباك، عمّا تتحدث إدا؟

سرت القشعريرة في جسدها بأكمله، نظرت لساعة الفرن، كانت ٢:٣٢ بعد منتصف الليل.

سألتها: « إدا Ada، ماذا تفـ ...». قاطعتها إدا Ada: « الفارق بين نباتي المونوكوت والديكوت يكون في التكوين الجزئيّ لبتلة الزهرة وفي الشكل الخارجيّ للورقة». المونوكوت؟، ما الأمر بحقّ الجحيم؟ ربما عبث والدها في الإعدادات، سألتها: « إدا Ada، ماذا تفـ ...». في تلك اللحظة سمعت صوت

المصباح يغلق، ليخيّم الظلام على المطبخ بأكمله

صاحت: « اللعنة». نظرت حولها في الظلام، هناك شيءٌ غريبٌ يحدث هنا، وهي لا تحبّ الأمر، تذكرت والدها فجأةً، تذكرت العصير الذي اخترعه لها وسمّاه (سيذهب الوحش بعيدًا) حين كانت في الخامسة، لكنها الآن أكبر من أن تصدّق هذا الهراء، عمرها الآن ستٌّ وعشرون ٢٦ سنةً، وهي أكبر من أن تخاف من الظلام.

« استجمعي شجاعتك يا سوز Suz »، همست لنفسها من بين أسنانها، هي ليست مراهقةً تخاف من الظلام، هي مالكة بيتٍ الآن، بالغةٌ، وهي جيدةٌ في إدارة حياتها منذ بلغت.

أخرجت هاتفها من جيب بنطالها القصير، وفتحت كشّافه ومشت دستةً من الخطوات تجاه غرفة الغسيل حيث تقبع لوحة التحكم في الكهرباء، فتحت بابها الرماديّ المعدنيّ ورأت الزّرّ المكتوب فوقه « المطبخ « مغلقٌ، فتحته وأغلقت اللوحة، عادت للمطبخ المضيء الآن، كان شاحن الهاتف محترقًا.

أزالته ووضعته على المنضدة

ليس جيدًا، ليس جيدًا على الإطلاق

سمعت صوتًا مفاجئًا جعلها تقفز خوفًا، أتاها الصوت من

الخارج، من مكانٍ قريبٍ، عدت نحو النافذة ونظرت منها، رأت الباب الخشبيّ الخارجيّ القديم يتراقص مع الرياح.

قالت بصوتٍ يرتجف: « أنا متأكدةٌ من إغلاق هذا الباب، يبدو أنّ أمّي قد فتحته». الآن هو وقت العودة للفراش.

استدارت لتنظر لوحدة التحكم في إدا، مصباحها الأخضر توقف عن العمل، أمرتها: « إدا Ada، أغلقي مصدر الطاقة».

***

في الصباح، دلفت إلى المطبخ متجهةً لماكينة صناعة القهوة، ستحتاج اليوم لخمسة أكوابٍ، كوبين الآن، وكوبين بعد الظهيرة وكوبٍ في حوالي الساعة الخامسة، هذا فقط ما سيبقيها واعيةً.

سألتها أمّها: « تبدين متعبةً؟، ألم تنامي جيدًا؟». أجابتها سوز Suz : « أستمرّ في سماع الأصوات». « هذا هو الحال في البيوت الجديدة، ستعتادين الأمر». دخل والدها للمطبخ وهو يحمل كتيّب التعليمات الخاصّ بإدا بين يديه متسائلًا: « من أعطاك هذا الشيء؟». « أحد زملائي في العمل، لقد شاركوا كلّهم في الأمر». أجابها: « على الجميع امتلاك أصدقاء كهؤلاء». جلس على المنضدة وهو يقلب الصفحة، قال لها: « إذا كان هناك حيواناتٌ بريةٌ تستطيعين ربط هذا

النظام بكاشف حركتها بالخارج، لتصنعي من هذا جهاز إنذارك الخاصّ، لكنّ ميزتي المفضلة هي ميزة التحكم في درجة الحرارة، تستطيعين ضبط درجة الحرارة التي تريدين، وهناك طريقةٌ أخرى مباشرةٌ». استند إلى مقعده وهو يقول بصوتٍ عالٍ: « إدا Ada، اضبطي درجة حرارة المنزل على ثمانٍ وستين ٦٨». أجابه الصوت الآليّ: « درجة الحرارة الآن ثمانٍ وستون ٦٨». أخبرته سوز Suz: « هذا جيدٌ». « هذا ليس الأمر برمته، إدا أغلقي الباب الخلفيّ». شعرت سوز Suz بالتوتر وهي ترى المصباح الأخضر ينير في نهاية الجهاز

سمعت صوت قفل الباب يغلق قبل أن يقول الجهاز: « الباب الخلفيّ مغلقٌ الآن». قال والدها: « أحبّ الأمر بأكمله، تستطيع التحكم في الأضواء، مراوح السقف وحتّى باب الجراج، وبالإضافة إلى هذا تطبع أيّ شيءٍ، إدا، اطبعي جدول اليوم». سألته سوز Suz: « أيّ جدولٍ؟». ردّ الصوت الآليّ: « طبع جدول اليوم». سمعت الطابعة الموجودة في غرفة الطعام تأزّ قبل أن تخرج قطعةً من الورق المطبوع، مشت حتّى الطابعة وهي تمسك بالورقة.

تأملتها، جدولٌ فارغٌ، لا شيء مجدوّلٌ لليوم.

ابتسم والدها قائلًا: « حسنًا، إن كان هناك جدولٌ لليوم،

تستطيع إدا مساعدتك فيه». نظرت لوالدها قبل أن تسأله: « هل يستطيع هذا الشيء الضحك؟». « لا أعلم، لماذا؟». « أكاد أقسم أنني سمعت البارحة صوت ضحكاتٍ». كادت تضيف: ضحكات طفلٍ، لكنها لم تفعل.

أجابها: « لا شيء هنا عن الضحك، لكنها تملك خاصيةً رائعةً، إذا قلت: قولي يا إدا، تستطيعين جعلها تردد أيّ شيءٍ، ربما أيضًا ستردد ضحكةً، من يعرف؟». تلك الإجابة لم ترق لها على الإطلاق.

كان إعجابها بإدا Ada يتراجع باستمرارٍ، سألته: « ولماذا سأريد منها أن تردد شيئًا قلته لها مسبقًا؟». أجابها والدها: « ربما لعبة أطفالٍ، إن كنت في السادسة وتملكين جهازًا يردد كلماتك، سيكون هذا رائعًا». « أو مراهقٌ يريد منه أن يردد شتائمه القذرة». وضع الكتيّب على المنضدة قائلًا: « سأريك، قولي يا إدا، الطقس جيدٌ». أتاهم صوتها: « تقول إدا Ada، الطقس جيدٌ». نظرت سوز Suz لإدا Ada وهي تقول: « إدا Ada، أغلقي نفسك». نالت كفايتها من سماع هذا الصوت المعدنيّ لليوم، استدارت لتواجه والدها قائلةً: « سأذهب للمدينة اليوم، هل تريد القدوم معي؟». هزّ رأسه قبل أن يفكر قائلًا: « لا أستطيع، لديّ الكثير للقيام به، أريد فحص لوحة التحكم بالكهرباء، زرّ المطبخ كاد ينفجر في هذا الصباح». زرّ

المطبخ مرةً أخرى!

ذكّرها هذا بشيءٍ، جذبت هاتفها من على المنضدة ومسّت شاشته، لم يحدث أيّ شيءٍ، الهاتف مغلقٌ، والشّاحن احترق بالأمس، عظيمٌ.

أكمل والدها حديثه: « أريد تنظيف الحديقة وتجهيز تلك المدفأة من أجل فصل الشتاء، هناك الكثير لأفعله، هل أستطيع كتابة بعض الأشياء لتجلبيها؟». هذا هو والدها، دومًا يمتلك قائمةً بأشياء سيفعلها، ويبدو أنّ تلك القائمة قد طالت منزلها الآن، أجابته: « بالطبع، اكتب لي تلك القائمة». نظرت لأمّها المشغولة في تزيين غرفة المعيشة ببعض الزهور متسائلةً: « ماذا عنك يا أمّي؟، هل تريدين المجيء معي لمتجر الخردوات قبل التوجه للمكتبة العامة؟». أجابتها: « أفضّل ألّا أفعل، إذا صعد والدك على سلّمٍ، يحتاج لشخصٍ يمسكه من أجله». « افعلوا ما شئتم، سأعود سريعًا».

***

رحلتها في متجر الخردوات لم تستمرّ سوى لبضع دقائق، كانت تحتاج مطرقةً، مسامير وبعض التجهيزات، قائمة أبيها لأعمال الأسبوع، لكنّ المكتبة كانت أمرًا مختلفًا، بدلًا من إعادة الكتب التي سبق واستعارتها ومن ثمّ الرحيل، وجدت نفسها تتجوّل بها.

لم تخطط للأمر لكنّ شيئا غامضًا يقودها لقسم كتب الأطفال، تشقّ طريقها بين الرفوف إلى أن وصلت لصورةٍ معلقةٍ فوق كرسيٍّ هزّازٍ

جذبت تلك الصورة عينيها، فتوقفت.

صورةٌ لطفلٍ ذي شعرٍ أحمر، يملأ النمش وجهه وهو يبتسم، على الأرجح التقطت تلك الصورة هنا في المكتبة، أسفل اللوحة مكتوبٌ: في ذكرى سامي ميلر

ميلر، جذبها الاسم.

اقتربت من اللوحة ولمست إطارها

سألتها أمينة المكتبة العجوز: « هل كنت تعرفينه؟». كان شعرها رماديًا وتضمّ كتاب أطفالٍ صغيرًا إلى صدرها

شعرت بالإحراج وكأنها قبضت عليها تفعل شيئًا لا ينبغي عليها القيام به وهي تقول: « لا». « كان فتًى صالحًا، كان يأتي لنادي الكتاب كلّ أسبوعٍ». قبل أن تضيف: « ولهذا علقنا صورته هنا، كي نتذكّره». ضيقت عينيها وهي تضيف: « كنّا نحبّه، كذلك أحببنا أمّه، هل أنت صحفيةٌ؟، هل أتيت للبحث بالأمر؟». فاجئها السؤال، أجابت سريعًا: « لست صحفيةً، أسكن هنا، اشتريت للتوّ منزلًا في نهاية الطريق». أشارت

تجاه البيت كما لو أنّ العجوز ستستطيع رؤية المنزل وهي تقول: « مالك البيت السابق كان يدعى ميلر». جلست المرأة في كرسيّها الهزّاز وهي تقول: « إذًا أنت الساكن الجديد، سمعت أنهم باعوا البيت، هل أنت من متتبعي الجرائم؟ هل ستكتبين عن الأمر في أحد الصحف؟». شعرت سوز بالقلق وهي تجيب بخفوتٍ: « لا». « لكنك تعرفين، أليس كذلك؟ عليهم أن يخبروك بالأمر قبل الشراء». لم يخبروها بشيءٍ، ولم تسأل عن شيءٍ، أجابتها: « أخبروني بالقليل». كانت تعرف أنّ هناك شخصين قد ماتا، لكنها تخيلت أنهما عجوزان أو شيءٌ من هذا القبيل، سألت: « هل الفتى ....». لم تستطع أن تكمل سؤالها

أومأت العجوز برأسها وهي تقول: « العديد من الأشخاص سيرفضون الحياة في بيتٍ كهذا». قالت سوز Suz : « هذا هو البيت الوحيد الذي أستطيع تحمل كلفته». تلاقت أعينهما للمرة الأولى، قالت العجوز بلطفٍ: « حسنًا من الجيد للمنزل أن يحظى بأسرةٍ جديدةٍ، يقولون إنّ المنازل تتذكر من يعيشون بها، سامي كان فتًى صالحًا، مثل أمّه، لذا لا تصدقي أيّ شيءٍ ستسمعينه بخلاف هذا، لقد كسرها ما حدث، ومن ثمّ لم تعد مثل السابق أبدًا». « ما الذي حدث هناك؟». « ظهر زوجها المجنون مثل كلبٍ مسعورٍ، لقد ذهب للنوم ليلًا بعد أن فتح الغاز في الفرن». سرت قشعريرةٌ باردةٌ في جسد سوز

أضافت أمينة المكتبة: « آهٍ لو استطاعت تلك الحوائط الكلام». تمتمت سوز Suz : « حسنًا، حمدًا لله أنها لا تفعل». لكنها تمنّت لو أنها تستطيع أن تفعل.

***

في تلك الليلة لم تستطع سوز Suz النوم حين خلد والداها للفراش، قبعت منتظرةً، شاهدت التلفاز من الساعة العاشرة والنصف ١٠:٣٠ حتّى منتصف الليل، شاهدت العديد من برامج الطبخ، أيّ شيءٍ يستطيع جذبها بعيدًا عن التفكير في الساعة، أيّ شيءٍ يجبرها على التظاهر أنها لا تفعل ما تفعل.

في تمام الثانية بعد منتصف الليل، أطفأت التلفاز، جلست في المقعد الموجود في ركن الغرفة، جلست لتواجه إدا

وانتظرت

***

العلامة الأولى كانت الضوء

ضوءٌ أخضر خافتٌ أضاء وسط ظلام المطبخ، استطاعت أن ترى أنّ إدا Ada نشطةٌ، هناك من نشّطها.

انتظرت لدقيقةٍ قبل أن تبدأ إدا Ada بالحديث: « لا أفهم

هذا السؤال». صمتٌ

« لا أفهم هذا السؤال». صمتٌ

« آسفةٌ، لا أستطيع مساعدتك في هذا». تجمّد الدم في عروقها

صمتٌ طويلٌ

ومض الضوء الأخضر مرةً أخرى، وبعد دقيقةٍ تحدثت إدا Ada: « من فضلك اطلب من والديك تفعيل تلك الخاصية». لم تستطع سوز Suz تحمّل الأمر، أضاءت الغرفة، وجدت إدا تقبع وحيدةً، لا وجود لأيّ شخصٍ آخر، لا يوجد فتًى صغيرٌ يهمس بجوارها.

سألتها سوز Suz بتوترٍ: « إدا Ada، هل هناك شخصٌ آخر هنا؟». « آسفةٌ، لا أفهم هذا السؤال». « إدا Ada، مع من تتحدثين؟». « لا أفهم هذا السؤال». عبرت سوز Suz الغرفة صائحةً

« إدا Ada ، أغلقي نفسك». « جارٍ الإغلاق». نظرت نحو وحدة التحكم الرمادية الصغيرة، هل جنّت؟، هل إدا Ada بحاجةٍ للضبط؟ نظرت للساعة، إنّها الثانية واثنان وثلاثون دقيقةً ٢:٣٢ بعد منتصف الليل.

مدت يدها ونزعت سلك إدا Ada من الكهرباء.

***

مرت الأيام

قضت سوز Suz وقتًا أطول مع والديها، لكنّ إدا Ada دائمًا كانت موجودةً في ذهنها، تلك الآلة الصغيرة التي تقبع في مؤخرة المطبخ، غير موصولةٍ بالكهرباء، فكرت في تحطيمها، أو رميها بعيدًا.

لكن هل هذا سيساعدها؟ بالإضافة لضحكة الطفل التي تستمرّ في اقتحام ذهنها.

عادت للواقع حين سمعت صوت والدها وهو يقف بجوار الباب الخلفيّ قائلًا: « سنعود مرةً أخرى في غضون أسابيع قليلةٍ». كان يحمل حقيبته، أخبرته: « أتمنّى لو أنكم لم ترحلوا بهذه السرعة». ردت أمّها: « سنعود سريعًا كما تعلمين». أنهت جملتها وهي تحتضنها بقوةٍ، أضاف والدها: « بالإضافة إلى أنني لم أنه أعمالي هنا بعد، هناك بعض ألواح الخشب في الشّرفة تحتاج للتثبيت، وأحتاج للعناية بتلك النوافذ، حين يأتي الشتاء ستفتقدين إلى الكثير من الدفء وأنا لا أريدك أن تشعري بالبرودة». مشت بجواره إلى السيارة وهي تقول: « أعلم يا أبي». سألتها أمّها: « هل تريدين منّي

أن أترك هاتفي لك؟ أعلم أنّ هاتفك معطوبٌ». هزت رأسها وهي تقول: « أحتاج فقط لشاحنٍ جديدٍ، سأحضره في الغد». سألتها أمّها متشككةً: « هل أنت متأكدةٌ؟». « لن آخذ هاتفك يا أمّي». ركب والداها السيارة، راقبتهم وهم يرحلون، لوّحت لهم، وابتعدوا

عادت للمنزل، ها هي وحيدةٌ مرةً أخرى

***

جلست سوز Suz على منضدة المطبخ ترشف الشّاي، كانت تجلس هنا منذ كان كوبها ساخنًا، هو الآن باردٌ.

لم تكن تعبأ بما حولها، كلّ ما كانت تفكر به هو تلك الآلة.

« إدا Ada، هل أنت مستيقظةٌ؟». « أجل، أنا مستيقظةٌ». « إدا Ada، هل أنا وحيدةٌ؟». « أنا آسفةٌ، لا أفهم ذلك السؤال». رشفت آخر ما تبقّى في كوبها وهي تلتفت لتواجه الآلة قائلةً: « إدا Ada، هل تستطيعين طبع كلّ الأوامر الصوتية؟». « أجل، أستطيع طبع كلّ الأوامر الصوتية». « اطبعي كلّ الأوامر الصوتية التي تلقيتها في الثلاثة أيامٍ الأخيرة». « جارٍ طباعتهم». وفي غرفة الطعام، عادت الطابعة إلى الحياة

بعد دقيقةٍ سقطت ورقةٌ منها، استمرت في الطباعة، كان يجب أن تكون هناك ورقةٌ أو اثنتان.

بعد دقيقةٍ، سقطت ورقةٌ أخرى من الطابعة، استمرّ الأمر

سقطت ورقةٌ أخرى

وأخرى، وأخرى، استمرّ الأمر بلا توقفٍ

ملأها شعورٌ بالخوف، ماذا تطبع؟

مشت حتّى الطابعة وهي تلتقط الورقة الأولى، سطورٌ وسطورٌ من الكلام مطبوعةٌ عليها بخطٍّ صغيرٍ، صفّان من الكلمات، الأمر الصوتيّ يمينًا والردّ يسارًا

قرأت الردود الموجودة في اليسار واستنتجت الأسئلة

إدا Ada هل أنت مستيقظةٌ؟ إدا Ada هل أنا وحيدةٌ هنا؟

استمرت القائمة، قائمة الأوامر الصوتية التي أصدرتها هي وأسرتها خلال اليومين المنصرمين.

قرأت الأوراق بعينيها، كان كلّ شيءٍ على ما يرام.

لكن فجأةً توقفت

وتحوّل الدم في عروقها إلى ثلجٍ.

***

حين كانت طفلةً، اعتادت أن تهاجمها الكوابيس، استمرت

في الحلم بشيءٍ مخيفٍ وبالظلام، وحين تستيقظ، هناك لحظةٌ بين النوم والاستيقاظ لا تستطيع التيقّن فيها من حقيقة الأمور.

كان هذا مثل ما يحدث الآن، المختلف فقط أنها ليست نائمةً

في نهاية تلك الورقة كانت هناك ثلاثة سطورٍ

« أستطيع سماعهم ينادونك بإدا Ada»

« هل إدا Adaهو اسمك؟». « إدا Ada هل تستطيعين تنبيهها؟». قلبت سوز Suz الورقة، وتوقفت عن التنفس تمامًا

ملأت الكلمات الورقة بأكملها، « إدا Ada ، الغرفة مظلمةٌ تمامًا». « إدا Ada ، أنت دائمًا هنا لتسمعينني، أليس كذلك؟». « هل تحبين التحدث معي؟». « إدا Ada ، لم أملك أيّ أصدقاء لوقتٍ طويلٍ». « إدا Ada ، هل تقبلين أن تكوني صديقتي؟». « إدا Ada، هل تستطيعين مغادرة المنزل، أنا لا أستطيع». فجأةً تكلمت إدا Ada من آخر الغرفة لتمنعها من الاستمرار في القراءة

بصوتها الآليّ: «أنا آسفةٌ، لا أفهم ذلك السؤال». شعرت بالقشعريرة، هناك من يتحدث إلى إدا Ada، شيئًا ما أو شخصًا ما سألها سؤالًا للتوّ.

انطفأ ضوؤها الأخضر، بعد دقيقةٍ، عادت للحياة مرةً أخرى، تحدثت إدا Adaمرةً أخرى:» أنا آسفةٌ، لا أفهم ذلك السؤال«. قفزت سوز Suz من مقعدها

قالت آمرةً: « إدا Ada، اطبعي آخر ثلاثة أوامر». « جارٍ طباعة آخر ثلاثة أوامر». خرجت ورقةٌ من الطابعة

أمسكتها، فإذا مكتوبٌ بها ثلاثة سطورٍ

« إدا Ada، هل تستطيعين سماعي؟». « إدا Ada، هل تعلمين بوجودي؟». « إدا Ada، هل تعرفين أنه قادمٌ؟». ارتعشت الورقة بين يديها، دارت بعينيها في الغرفة الفارغة

سألت بصوتٍ عالٍ: « من هنا؟ كيف تفعل هذا؟». صمتٌ تامٌ، ومض الضوء الأخضر وتحدثت إدا Ada:» أنا آسفةٌ، لا أفهم ذلك السؤال». صرخت سوز Suz: « أين أنت؟». ومض الضوء الأخضر مرةً أخرى

« أنا آسفةٌ، لا أفهم ذلك السؤال». أمرتها: « إدا Ada، اطبعي آخر الأوامر». « جارٍ الطباعة »، سقطت ورقةٌ من الطابعة

كانت تحتوي على عبارتين:

« تستطيعين سماعي، أليس كذلك؟». « هل تعرفين أين أمّي؟». سقطت الورقة أرضًا

نظرت لإدا Ada، ومض ضوؤها الأخضر مرةً أخرى قبل أن تقول:» أنا آسفةٌ، لا أفهم ذلك السؤال». أمرتها: « إدا Ada، اطبعي آخر الأوامر». سقطت ورقةٌ من الطابعة

أمسكتها وهي تقرأ المكتوب:

« أستطيع رؤيتك، أنت جميلةٌ، أمّي تدعى ماري وأنا سامي، هل تعلمين أين ذهبت؟ الشرطة أخذتها وتركوني هنا وحيدًا، وحيدًا معه». لم تستطع سوز Suz التنفس

انحنت فوق المنضدة، كادت تتقيأ، يجب أن تغادر، يجب أن تجري للخارج، تصرخ، لكنّها لا تستطيع.

ومض ضوء إدا الأخضر مرةً أخرى قبل أن تقول: « أنا آسفةٌ، لا أفهم ذلك السؤال». ارتعدت سوز Suz

سقطت ورقةٌ أخرى من الطابعة

قرأت سوز Suz السطور

« زوج أمّي، إنه آتٍ، أستطيع الشعور به، يجب أن تهربي». سألت: « ماذا تقصد بأنه آتٍ؟ ـ هل يستطيع التحدث لإدا Ada هو أيضًا؟». سقطت ورقةٌ أخرى من الطابعة

« لا، ليس مثلي، اهربي، يجب أن تهربي، إنه آتٍ، إنه آتٍ، إنه آتٍ، إنه آتٍ». وهي تقرأ كانت الطابعة تسقط المزيد من

الأوراق، ورقةً تلو الأخرى، أمسكت إحداها وكانت تحتوي على كلمةٍ واحدةٍ مكررةٍ مئات المرات

« اهربي، اهربي، اهربي، اهربي، اهربي، اهربي». استمرت الطابعة في طباعة الأوراق واحدةً تلو الأخرى

أمسكت بأخرى، كانت كسابقتها تحوي كلمةً واحدةً مكررةً

أسقطت الورقة

أمرتها مرتجفةً: « إدا Ada، أغلقي نفسك». « لا أفهم ذلك السؤال». كررت الأمر: « إدا Ada، أغلقي نفسك». « لا أظنّ هذا »، قالها صوتٌ آخر

حملقت في الآلة متسائلةً: « ماذا؟». « لا ... أظنّ ... هذا »، أتاها صوتٌ آخر بخلاف صوت إدا Ada، صوتٌ أجشّ صدئٌ

لم تستطع فعل شيءٍ سوى النظر إليها قائلةً بدهشةٍ: « إدا Ada»

أجابها الصوت الشيطانيّ: « إدا Ada ليست هنا الآن». تراجعت سوز Suz للخلف، أسقطت المقعد أرضًا، كان صوت رجلٍ، صوتًا أجشّ غريبًا، تسارعت نبضات قلبها.

نظرت لساعة الفرن، كانت الثانية واثنين وثلاثين دقيقةً ٢:٣٢ بعد منتصف الليل، لم تغرب الشمس بعد فأشعتها تعبر

النافذة، لكنّ ساعة الفرن تقول إنّ الساعة الثانية واثنان وثلاثون ٢:٣٢ بعد منتصف الليل.

اشتعلت نيران الفرن فجأةً

صرخت وهي تعدو نحو الفرن لتطفئ نيرانه، فتحت باب الفرن وأطفأته، أمسكت سكين تقطيع اللحم والتفتت لتواجه ... ماذا؟ الغرفة الفارغة؟ إدا Ada؟

دارت وهي تنظر في جميع الاتجاهات صارخةً: « ماذا تريد؟ من أنت؟». ومض الضوء

لمحت انعكاس حركةٍ خافتةٍ على الميكروويف الموجود فوق الفرن، التفتت لتنظر خلفها، لكنها لم تجد شيئًا.

نظرت للانعكاس مرةً أخرى، كانت الغرفة تنعكس بغير وضوحٍ على سطح الميكروويف المعدنيّ، لمحت انعكاسًا صغيرًا في ركن الغرفة، انعكاس فتًى صغيرٍ، التفتت لتواجه ركن الغرفة، لكنها لم تجد شيئًا، كانت الغرفة فارغةً

أغلقت عينيها وهي تقول: « هذا ليس حقيقيًا، كلّ هذا ليس حقيقيًا». فتحت عينيها وهي تنظر للانعكاس على سطح الميكروويف مرةً أخرى، وكان هناك طفلٌ به، يجلس في ركن الغرفة، رفع رأسه للحظةٍ.

سامي

الطفل الموجود في الصورة بالمكتبة، تستطيع أن ترى حركةً في الانعكاس لكنّها لا تسمع أيّ صوتٍ.

بعد لحظةٍ تحدثت إدا Ada، عادت لصوتها الطبيعيّ مرةً أخرى وهي تقول: « أنا آسفةٌ، لا أفهم ذلك السؤال». تنفست سوز Suz بعمقٍ وهي تسأله ببطءٍ: « سامي، هل لعبت لعبة التقليد من قبل؟، هل تعرف كيف تلعبها». قالت إدا Ada:» أنا آسفةٌ، لا أفهم ذلك السؤال». « عليك أن تقول إدا Ada قولي قبل أيّ شيءٍ تريد لها ترديده، وهي ستقوم بتقليدك، مثل اللعبة، سأبدأ أنا، إدا Ada قولي أستطيع أن أراك في ركن الغرفة، هل هذا أنت؟». صمتٌ، ومض الضوء الأخضر مرةً أخرى وتحدثت إدا Ada: « إدا Ada

تقول فات الآوان». « علام فات الأوان؟». صمتٌ، ومض الضوء الأخضر مرةً أخرى وتحدثت إدا Ada: « إدا Ada تقول هو هنا الآن». سألته سوز Suz: « هنا أين؟». صمتٌ، ومض الضوء الأخضر مرةً أخرى وتحدثت إدا Ada: « إدا Ada تقول هو يقف بجوارك مباشرةً». نظرت بجوارها، لكنها لم تجد شيئًا، نظرت مرةً أخرى للميكروويف، لكنّ الفتى اختفى تمامًا

اقتربت من الميكروويف وضغطت زرّه

فتح بابه ببطءٍ ليغيّر من زاوية الرؤية، استطاعت أن تحظى بزاوية رؤيةٍ أفضل، لقد كان يقف عن يمينها تمامًا ...

تستطيع الآن أن ترى انعكاس كتف رجلٍ، رجلٍ ضخمٍ يرتدي بذّةً سوداء، يقف على بعد قدمٍ منها، للحظةٍ خافت من أن تتحرك، أنزلت يدها بجوارها، وهي تطالع الانعكاس في الميكروويف.

يدٌ شاحبةٌ هبطت على كتفها

صرخت، ثمّ دارت حول نفسها وهي ترتعد خوفًا، جرت لتخرج من الغرفة، أمسكت مقبض باب البيت.

وخرجت منه صارخةً.

***

تمددت سوز Suz على فراش الفندق، لساعاتٍ طويلةٍ كانت ترتعد، لم تفكر حين هربت من المنزل، أخذت حقيبتها وهاتفها، لم تأخذ حذاءها، ولا معطفها، أمسكت بغطائها وهي تنظر لملابسها، قميصٌ قطنيٌّ وبنطالٌ جينزٌ، كانت محظوظةً، لو كانت الساعة الثانية واثنين وثلاثين دقيقةً ٢:٣٢ فعلًا، كانت ستقف بملابسها في الظّلام أثناء حدوث الأمر

كلما أغلقت عينيها تذكرت يد الرجل الشاحبة وهي تهبط

على كتفها في انعكاس الميكروويف، الرجل الطويل الذي يقف خلفها في المطبخ

والفتى الجالس في ركن الغرفة.

لا يزالا هناك، كانت متيقنةً من الأمر، أمسكت هاتفها، ما زال مغلقًا

أمسكت هاتف غرفتها لتتصل بالاستقبال

« هل تملكون شواحن للهواتف هنا؟». أجابتها الموظفة: « لدنيا حوالي مليون شاحنٍ، يستمرّ النزلاء في نسيانهم هنا». بعد دقيقتين كانت تقف أمام باب غرفتها وهي تحمل بيدها صندوقًا مليئًا بالشواحن، وجدت الشاحن المطلوب وهي تقول: « سأعيده حين أنتهي من الشحن». أجابتها الموظّفة: « لا عليك، تستطيعين الاحتفاظ به، لدينا الكثير منها». شكرتها وهي تعود للداخل، أوصلته بالكهرباء وتركت هاتفها يستعيد حياته، ثمّ توجهت للاستحمام.

غسلت شعرها، كانت تريد التخلص من الأمر برمّته، كانت تعرف أنّ عليها أن تعود في النهاية، لا تستطيع البقاء هنا للأبد، دفعت كلّ نقودها في هذا المنزل، ماذا ستفعل؟ هل ستبيعه؟ ستخسر الكثير من المال إن فعلت هذا

لكن ما هي خياراتها؟ لا تستطيع العودة مرةً أخرى.

الأمر برمته يبدو مستحيلًا، حتّى الأمس، لم تكن تصدق في وجود الأشباح، لم تكن تصدق وجود أشياء لا تستطيع لمسها أو رؤيتها، كانت تؤمن بالعلوم وبالرياضيات، كانت شخصيةً عمليةً.

والآن هي تهرب من شيءٍ لا يمكنها تفسيره، مستحيلٌ أن تعيش في هذا البيت، لكن ماذا ستفعل؟ هل ستعود لمنزل والديها زحفًا؟ هل ستقترض المال من شقيقها؟ مستحيلٌ، لقد عملت بجدٍّ كي لا تطلب المال من أحدهم، لن تفعل هذا الآن.

خرجت من الحمّام وقد أنهكها التفكير، تمددت في الفراش وعظامها تئنّ من التعب، وفي خلال دقائق، كانت نائمةً.

***

كانت أشعة الشمس تخترق زجاج النافذة حين استيقظت سوز Suz، نظرت للساعة، كانت العاشرة واثنتا عشرة دقيقةً ١٠:١٢ صباحًا

مدت يدها لتمسك بهاتفها، فتحته، لقد عاد للحياة للمرة الأولى خلال الأيام الماضية، اتجهت للحمّام لتفرّش أسنانها، سمعت صوتًا من هاتفها، وصلتها رسالةٌ نصيةٌ، وأخرى، وأخرى.

أنهت حمّامها واتجهت للغرفة مرةً أخرى، تفحصت هاتفها، دستةٌ من الرسائل

آتيةٌ من رقم والدتها.

انعقد حاجباها وهي تحاول فهم المكتوب أمامها، كانت والدتها تحدثها، لكنها هي لم تكن تحدثها حقًّا.

الردود التي أرسلتها ردًّا على رسائل أمّها مكتوبةٌ أمامها، لكنها لم تكتبها أبدًا.

كثيرٌ من الرسائل النصية التي ترجو فيها والديها أن يأتيا لزيارتها

وكثيرٌ من ردود أمّها المندهشة ممّا يحدث.

آخر رسالةٍ أرسلتها لهما كانت: « هناك أمرٌ طارئٌ، مشكلةٌ في البيت، هل يمكنكما الحضور الآن؟ أحتاجكما هنا، هل تستطيعان الحضور؟». وآخر رسالةٍ أرسلتها لها والدتها كانت: « حسنًا، نحن في طريقنا إليك». كان توقيت إرسال الرسالة الأخيرة إلى أمّها الساعة السابعة والنصف ٧:٣٠ صباحًا، أي منذ ما يقارب الثلاث ساعاتٍ، بينما يعيش والداها على بعد ساعةٍ من منزلها.

ضغطت على شاشة هاتفها، حاولت أن تكتب أيّ شيءٍ لكنه

لم يستجب لها، ظلت الشاشة مضيئةً بلا فائدةٍ، لا تستطيع كتابة أيّ حرفٍ، ضغطت على مكانٍ آخر في الشاشة لكنّ شيئًا لم يحدث.

أمسكت سماعة الهاتف الأرضيّ الخاصّ بغرفتها، اتصلت بوالدتها ثلاث رناتٍ، أجاب البريد الصوتيّ نيابةً عن والديها.

كانت تعرف يقينًا أنهما في المنزل، لقد استدعاهما المنزل فلبّيا نداءه.

أمسكت حقيبتها وخرجت من غرفتها بسرعةٍ.

***

قادت سوز Suz سيارتها في الطريق غير الممهد المليء بالحصى،

وصلت البيت، ضغطت على المكابح بقوةٍ فصرخت عجلات سيارتها، لتتوقف على بعد إنشٍ من مصدّ سيارة أبيها الخلفيّ، هبطت منها وهي تعدو بخطواتٍ سريعةٍ نحو المنزل، فتحت الباب لتستقبلها رائحةٌ كريهةٌ أشبه برائحة البيض الفاسد.

وقفت على باب البيت

الغاز، تشمّ رائحة الغاز

« أمّي!،أبي!، أين أنتما؟». انتظرت للحظاتٍ، تنصت السمع، لكن بلا فائدةٍ.

« أمّي، يجب أن نخرج من هنا، المكان مليءٌ بالغاز، هل أنتما هنا؟». صمتٌ تامٌّ

لم يكن أمامها خيارٌ آخر، دخلت البيت، عليها فقط أن تكون سريعةً، وضعت يدها على فمها وأنفها،اتجهت لغرفة المعيشة، المكان فارغٌ تمامًا، لا دليل على وجود أيّ شخصٍ هنا.

كاد قلبها يتوقف، هل رحلا؟ السيارة بالخارج لا تعني أنهما هنا بالضرورة، ربما شمّا الغاز ورحلا فحسب، لكن لماذا لم يأخذا السيارة؟

عدت سريعًا نحو المطبخ، كان عليها الاهتمام بأمر الفرن أولًا، أغلقت عيونه المفتوحة، مشت نحو النافذة وفتحتها وهي تتنفس بعمقٍ.

توجهت للباب الخلفيّ، فتحته على مصراعيه محاولةً أن يملأ الهواء النقيّ المنزل.

نادتهما مرةً أخرى: « أمّي، أبي!». ما زالت لا تسمع ردًّا.

شعرت أنّ رئتيها تحترقان، رأسها يؤلمها، الصّداع يكاد

يحطم رأسها

ومض الضوء الأخضر فالتفتت لإدا Ada، بعد لحظاتٍ سمعتها تقول: « إدا Ada تقول بالأعلى ...». جرت نحو السّلّم، تصرخ: « أمّي، أبي!». تتنفس بصعوبةٍ بالغةٍ، العالم يدور من حولها، قلبها يدقّ بقوةٍ، قدماها لا تقويان على حملها، وصلت لمنتصف السّلّم ولم تعد تستطيع المشي، عيناها وأنفها يحرقانها، نادتهما: « هل أنتما هنا؟». لا زالت لا تجد ردًّا

حاولت أن تسرع وهي تناديهما مرةً أخرى: « أمّي، أبي». لا تستطيع التنفس، حاولت أن تتذكر ما سمعته عن التسمم بالكربون الأحاديّ، عليها أن تظلّ واقفةً، كلما ارتفعت عن الأرض كانت فرصتها في النجاة أفضل، صعدت السّلّم واتجهت يسارًا

وصلت أخيرًا لغرفة النوم، وجدت والدها ساقطًا أرضًا بينما والدتها كانت على الفراش، لا تزال أمّها تتنفس، لكنها لا تعرف حالة والدها

ماذا ستفعل؟ ماذا ستفعل؟

فتحت النافذة سريعًا، الهواء النقيّ ليس قويًا بما يكفي، لكنه سيساعدها، أمّها كانت أخفّ وزنًا لذا بدأت في جرّها

أولًا

رحلتها لنزول السّلّم لم تكن سهلةً، حاولت حمل والدتها والنزول للأسفل، كانت تسندها وهي تجرّ قدميها خلفها، صوت خطواتها الثقيلة يثيرها، لكنها لا تملك خيارًا آخر، أن تعيش أمّها وقد كسرت عظمةٌ أو اثنتان خيرٌ من أن تموت وهي سليمةٌ، كان عليها أن تسرع، والدها ما زال طريح الأرض.

خرجت من الباب الأماميّ، توجهت للشرفة الأمامية، رائحة الغاز قويةٌ للغاية، استمرت في المشي، ألقتها بعيدًا على العشب.

توقفت، دار العالم من حولها بقوةٍ، لم تعد ترى بشكلٍ جيدٍ، أمّها تعاني من التسمم بالغاز لكنها حيةٌ تتنفس، هزت رأسها وهي تقول: « أمّي، أفيقي». لم تتلق منها ردًّا

عليها أن تعود للداخل من أجل أبيها، لكنّها تشعر بدوارٍ شديدٍ، وقفت لدقيقةٍ وهي على وشك فقدان الوعي، لكنّ الأمور تحسنت سريعًا، تنفست بعمقٍ ثلاث مراتٍ وهي تخطو داخل المنزل.

رائحة الغاز قويةٌ للغاية

تسلقت السّلّم بسرعةٍ بالغةٍ، قدماها لا تسعفانها، قواها تخور

بسرعةٍ

وجدت والدها تمامًا كما تركته، هل حاول والداها البحث عنها حين وصلا؟ هل الأمر برمته خطؤها هي؟

أمسكت ذراعه وبدأت في جذبه، حين وصلت للسّلّم أيقنت أنها في مشكلةٍ، فوزنه ثقيلٌ للغاية.

وقفت على بداية السّلّم تشهق وترتعش بقوةٍ، هي على وشك فقدان وعيها

إذا فقدت وعيها الآن، لن ينجوا

ومن الأسفل سمعت إدا Ada تقول: « إدا Ada تقول أسرعي، إنه قادمٌ». صرخت بقوةٍ وهي تحاول جذب والدها، كانت متعبةً، مرهقةً، على وشك الاستسلام، رفعته على ظهرها وكادت تهبط السّلّم، فقدت توازنها فسقطت أرضًا وسقط فوقها.

لم تعد ترى بشكلٍ جيدٍ

الأمور تزداد سوءًا، لم تعد متيقنةً من حقيقة الأشياء، تحاول أن تقف، أن تجذب جسد أبيها، ستة درجاتٍ فقط، كادت تتمّ الأمر، لكنها بدت كمليون درجةٍ بسبب تعبها.

أدارت رأسها، لمحت انعكاسها في المرآة، كان الطفل يقف

خلفها وهو يهمس: « اهربي، لقد وصل». شعرت بوالدها يتحرك، تركته يسقط أرضًا، مرت بضع ثواني، نادته: « أبي». جلس متخشب الجسد

تجمدت

أدار وجهه وتأملها

كان وجهه خاليًا من التعبيرات

عيناه أيضًا كانتا خاليتين من أية تعبيراتٍ

اتسعت ابتسامته بشدةٍ

« أين ستذهبين بمثل تلك السرعة؟». نظرت تجاهه مندهشةً وهي تكرر: « أبي ...». وقف على قدميه، كأنه غير مسمّمٍ، قال بقسوةٍ: « لا أعرف أيّ شخصٍ بهذا الاسم». « أبي علينا أن نخرج». « نخرج؟ لكنني أحبّ المكان هنا، يجب علينا البقاء». ابتعدت عنه، اتجه نحوها، أمسكها من شعرها

شعرت بالألم في رأسها وفي عنقها، اختلّ توازنها فسقطت أرضًا، صرخت وهي تدفعه بقوةٍ، اختلّ توازنه فسقط بجوارها، حاولت أن تبتعد عنه، أن تهبط باقي السّلّم سريعًا

لكن حين وقفت، وجدت نفسها تواجهه

مشي نحوها، كان يبتسم، أمسكها من عنقها بقوةٍ

صعد بها السّلم

قال لها: « أنت تزيدين الأمر صعوبةً، كلّ ما تحتاجينه هو الراحة فقط». ركلته بقوةٍ، حاولت أن تبتعد عنه، لكنه كان قويًا، عليها أن تسرع، رئتاها على وشك الانفجار، وبيأسٍ ثبتت نفسها على الأرض وحررت ذراعها، عدت نحو المطبخ.

فتحت درج المطبخ وأخرجت سكينًا ضخمًا، لا تريد استخدامه، خصوصًا ضدّ أبيها

لكنّه يتجه نحوها

تحدثت إدا لكن هذه المرة سمعت صوت الطفل بوضوحٍ يقول: « إنه معمّرٌ، لن يموت إلّا إذا اقتلعت جذوره». تصاعد الدخان من إدا Ada، تراقصت حولها شراراتٌ كهربائيةٌ صغيرةٌ، قبل أن تشتعل بها النيران، ذاب جسدها البلاستيكيّ، تفتّتت لقطعٍ صغيرةٍ

واجهها والدها قائلًا: « عليك أن ترتاحي قليلًا». ماذا عنى سامي بكلمة معمّرٍ، الكلمة لا معنى لها، نظرت حولها

اقترب والدها خطوةً، وأخرى، وأخرى

معمّرٌ، لا تعني شيئًا، حملت السكين أمامها، كانت ترتجف بشدةٍ

ما زال يتقدم نحوها،عيناه ليست كالسابق أبدًا، هذا مستحيلٌ، من المستحيل أن يكون هذا والدها، والدها لن يؤذيها أبدًا، كان هو من علّمها كيف تدافع عن نفسها، كان يحبّها.

عليها أن تبتعد عنه، حاولت أن تجري ناحية غرفة المعيشة، لكنّها لم تستطع الوصول إليها، أمسك بها، جذبها من كتفيها بقوةٍ، رجّها بعنفٍ

تأملت سوز Suz السكين

قال لها: « الأمر ليس بهذا السوء». أدركت أنه يريد منها أن تطعنه، الشيء الموجود بداخله يريد منها أن تطعنه، يريدها أن تقتل الرجل الذي اهتمّ بها طوال حياتها وعلّمها كلّ شيءٍ تقريبًا

لا تستطيع أن تؤذيه، مهما كلفها الأمر، حتّى لو مات كلاهما هنا، تركت السكين تسقط أرضًا.

ابتسم وهو يقول: « انتهى وقتك يا سوز الصغيرة». وضع يديه على فمها ليخنقها

سيكون الأمر سهلًا

تركها وهو يبتسم قائلًا: « عليك أن ترتاحي». سمعت صوتًا

يأتيها من إدا Ada، كان صوت طفلٍ يرتعد خوفًا وهو يقول: « أنا آسفٌ». كان صوت سامي، نظرت لإدا Ada، كانت بخيرٍ، لم تذب، هل تخيلت الأمر؟

شعرت بالارتباك، قالت: « لا». فقدت الإحساس بجسدها فعلًا، كانت على وشك أن تفقد وعيها، كانت تعرف هذا يقينًا، قال لها: « لا شيء مهمٌّ، لا شيء مهمٌّ على الإطلاق». قادها إلى غرفة المعيشة، وهي لا تشعر بقدميها، وضع يديه على جانبي رأسها، كما لو أنه يحاول طرد الصداع من رأسها، تحتاج للتنفس، صارعته، تستطيع أن ترى مزهرية الزهور موضوعةً بجوار المدفأة

« سوز Suz ، ارتاحي، تحتاجين للنوم». المزهرية

الزهور التي تملؤها كانت سوداء، لم تعش أكثر من ثمانيةٍ وأربعين ساعةً قبل أن تموت

همست لنفسها: « معمّرٌ». نظرت للمزهرية وهي تستكمل: « عليّ أن أنزع الجذور». مدت يدها لتمسك بالمزهرية، كانت قريبةً من أطراف أصابعها، أمسكتها، كانت باردةً، باردةً للغاية، مثل الجليد

هذه ليست مزهريةً، أدركت الأمر، تلك ليست مزهريةً، كانت جرّة رمادٍ

زأر وهو يقول بقوةٍ: « ضعي هذه أرضًا». هربت منه، جرت بسرعةٍ، كان يعدو خلفها، كان على وشك الإمساك بها، ألقت بالجرة، تهشمت على النافذة الأمامية، تهشم زجاج النافذة وسقطت الجرة أرضًا، اندفع الرّماد منها، وملأ المكان بأكمله

شعرت به يسقط تحت قدميها وهو يقول: « لا». تلاعبت الرياح بالرّماد، نثرته في الهواء

سقط أرضًا وهو يهمس بخفوتٍ، تحولت شفتاه للون الأزرق

احتضنته وهي تصرخ: « أبي». كان لا يزال يتنفس، لكن بصعوبةٍ، عليها أن تقوده للخارج، أمسكت يده، كانت الأرض ملمّعةً ممّا أعطاها فرصةً جيدةً في جرّه بسهولةٍ، حملته وقادته للخارج

بمجرد خروجها للشرفة لم تعد ترى شيئًا، دارت بها الدنيا، صوت تنفسها صار ضحلًا وبعيدًا، حاولت أن تجرّه خارج الشرفة، تحول كلّ شيءٍ للون الأسود، شعرت بالعشب تحت بشرتها، ومن فوقها كانت السماء زرقاء صافيةً.

***

استيقظت سوز في المستشفى، كانت وحيدةً في الغرفة المظلمة إلّا من ضوء شاشةٍ صغيرةٍ

دخلت الممرضة للغرفة، بالكاد كانت سوز Suz تقوى على الحديث

سألتها: « أين أبي وأمّي؟». طمأنتها الممرضة: « والداك سيكونان بخيرٍ، كنتم محظوظين بما يكفي». همست: « محظوظين». ابتسمت الممرضة وهي تقول: « لقد خرجتم من المنزل في الوقت المناسب».

***

بعد ثلاثة أسابيع، أعدت سوز Suz لنفسها كوبًا من القهوة وهي تتجه لغرفة الطعام، كان الوقت متأخرًا للغاية، قريبٌ من ساعة السّحر، ابتسمت، كان الطفل على وشك المجيء ولديها الكثير لتخبره به، والداها سيزورانها بالغد، وسيأتون بهديةٍ.

تلك زيارتهم الأولى للمنزل من بعد الحادث

كلاهما لا يتذكر ما حدث، لكنّ والدها تأكد من عدم تكرار الأمر مرةً أخرى، قام بفصل وحدة الغاز، واشترى لها فرنًا كهربائيًا، تلك كانت طريقته في علاج المشاكل دومًا

كانت تقدّر له الأمر رغم أنها تعرف يقينًا أنّ المشكلة لم تكن في الفرن بذاته

قالت: « إدا Ada، هل سامي هنا؟». ومض ضوء الآلة قبل أن تقول: « آسفةٌ، لا أفهم هذا السؤال». انتظرت لدقيقةٍ أخرى

قبل أن يومض الضوء الأخضر

أخبرها الصوت: « إدا Ada تقول ... أجل».

النهايـــــــــة

الحكاية الثالثة: مرحبًا بكم في أمستردام

تأليف: بارند دو فوجد- من هولندا

ترجمة: محمد عصمت

«مرحبًا بكم في أمستردام الملوّنة الزّاهية»، هكذا قالت المضيفة مرحّبةً بنا، ثمّ أعقبت التّرحيب بقولها: «شكرًا لكم لاختياركم خطوط أمستردام الجوّيّة». تبدو أمستردام رائعةً للغاية من الأعلى، حقول الخزامي ممتدّةً على مدى البصر، تطفو طائرتنا على ارتفاع ستّة عشر كيلومترًا، لكن على ما يبدو فأنت تستطيع رؤية تلك الحقول من الفضاء، بينما يمتدّ من جهة البحر الشّماليّ ومن على حدود ألمانيا، يمتدّ حقلٌ لا نهائيّ من الزّهور الملوّنة بالأحمر، والأصفر، والذّهبيّ والأرجوانيّ، تمامًا مثلما سمح لي جهاز (شـ و إ) برؤيتها قبل أن نرحل، لكنّهاهنا ملوّنةٌ لدرجةٍ قد تؤذي عينيك.

دفعت صوفيا نظّاراتها الشّمسيّة على أنفها كي تسترق النّظر للأسفل، كانت تجلس بجوار النّافذة، وفي حقيقة الأمر حاولت طوال الرّحلة أن أتجاهلها تمامًا، لكنّ نظّاراتها الشّمسيّة اللافتة للنّظر جعلت الأمر صعبًا أو شبه مستحيلٍ إذا أردنا الدّقّة، أعتقد أنّها الوحيدة على سطح الكوكب التي لازالت ترتدي نظّاراتٍ شمسيّةً، جهاز (شـ و إ) يقوم بإبعاد

أشعّة الشمس الضارّة عن عينيك، لكنّها صمّمت على حزم نظّاراتها الضّخمة للغاية وذات الموضة القديمة في حقيبةٍ حمراء على شكل قلبٍ، ومكتوبٌ عليها (نظّارات لوليتا).

استمررت في التّركيز على حقول الخزامي وأنا أحاول منع نفسي من الضّحك بصوتٍ عالٍ

« أليست جميلةً يا عزيزتي؟». قالتها صوفيا وهي تضغط على يدي، من أجل الله، اتركيني لشأني!

من حسن حظّي أنّ الرّقاقة المزروعة في وجهي عملت، وبدأت تعرض لي صورةً جديدةً في رأسي، جهاز شخصيّة الواقع الافتراضيّ الذي زرعت رقاقته في وجنتي اليسرى حين كان عمري اثني عشر عامًا، يبدو مكان الزّراعة وكأنّه حبّة نمشٍ لطيفةٍ، تأتي الرّقاقة مصنوعةً من السّيليكون البنّيّ الخفيف وتبدو طبيعيّةً جدًّا، ويتّصل الجهاز بالإنترنت، ويتحكّم في القشرة البصريّة والمنطقة السّمعيّة من دماغك – أو شيءٍ من هذا القبيل، لا أعرف الكثير عن حقيقة ذلك الشّيء، لكن بعد سبع سنواتٍ من الاستخدام لا أستطيع الاستغناء عنه، الشّيء الوحيد الخارج عن الطّبيعة الذي تشعر به هو تلك النّقرة الصّغيرة في وجهك، وهو شعورٌ لطيفٌ في حقيقة الأمر.

كليك.. صورٌ قديمةٌ.. روائح وأصواتٌ.. لتستبدل الصّورة

الرّوائح والأصوات الموجودة حاليًا.

«أمستردام». بدأ الصّوت المألوف داخل رأسي بالحديث: «هي عاصمة هولندا القديمة، والتي عرفت من قبل باسم الجمهوريّة الهولنديّة المتّحدة السّابعة في الفترة من ١٥٨٨ ألفٍ وخمسمئةٍ وثمانيةٍ وثمانين وحتّى ١٧٩٥ ألفٍ وسبعمئةٍ وخمسةٍ وتسعين، ثمّ عرفت باسم جمهوريّة باتافيا في الفترة من ١٧٩٥ ألفٍ وسبعمئةٍ وخمسةٍ وتسعين وحتّى ١٨٠١ ألفٍ وثمانمئةٍ وواحدٍ، ثمّ عرفت بـ ....».

ممـــــــــــــلٌّ!

انتقل للتّالي، من حسن حظّي أنّ الجهاز يستجيب للأوامر الصّوتيّة بشكلٍ جيّدٍ.

كليك، وعرفت بجمهوريّة هولندا في الفترة من ١٨٣٠ ألفٍ وثمانمئةٍ وثلاثين وحتّى ٢٠٥٨ ألفين وثمانيةٍ وخمسين، وعرفت الدّولة بدولة أمستردام منذ التّعديل الدّستوريّ الذي تمّ في ألفين وثمانيةٍ وخمسين ٢٠٥٨، قرّر الشّعب أنّ هذا أسهل، لا يجد السّيّاح فرقًا بين أمستردام والجمهوريّة الهولنديّة، لكنّ أمستردام اسمٌ أقوى ولافتٌ للنّظر، تعتمد المدينة على ....». قاطعت صوفيا الشّرح وهي تضغط على يدي مرّةً أخرى

« انظري». أحنيت جسدي تجاه النافذة واستطعت أن أراها بنفسي الآن، طاحونة أمستردام الهوائيّة.

أكبر مبنًى بالعالم، وعلى الفور تمّ تفعيل الجهاز، ارتفاعها ١١٠٠ ألفٌ ومئة قدمٍ، أعلى حتّى من برج خليفة، وعلى الفور ظهرت صورة برج دبيٍّ في رأسي.

شكرًا لك أيّها الجهاز!

عليّ أن أعترف أنّني أشعر بالقليل من الانبهار، الطّاحونة عملاقةٌ حقًّا، بالطّبع شفراتها لا تعمل – لكنّني أتخيّل أنّها ستسبّب إعصارًا لو دارت – لكنّهم بكلّ تأكيدٍ يناطحون السّحاب، ضخمةٌ لدرجة أنّ الأرض تبدو صغيرةً بجوارها، أخبرني جهازي أنّها طاحونةٌ كهربائيّةٌ، الطّابق الأعلى بها هو مطعمٌ فاخرٌ للغاية، أستطيع رؤية العديد من الأشخاص يهبطون بالسّلالم المتحرّكة من موقعي، جسد الطّاحونة بأكمله محميٌّ ومغطًّى بالقشّ وهي مادّةٌ عتيقةٌ كانت تستخدم في البناء من زمنٍ طويلٍ، شفراتها مصنّعةٌ لتبدو كأنّها شفرات طاحونةٍ تنتمي للقرن السّابع عشر، فعلوا كلّ شيءٍ لإضفاء مسحةٍ تاريخيّةٍ عليها.

قلت لصوفيا بغرض مضايقتها فقط: «تمّ بناؤها عام ٢٠٦٠ ألفين وستّين»

قالت في استمتاعٍ كأنّها طفلةٌ صغيرةٌ: « ششششش، أرجوك لا تفسدي الأمر، اتركيني لأستمتع». «يا إلهي»!

«هذا مصطلحٌ قديمٌ»!

«يا إلهي»!

« أقول فقط أنّه سابقٌ لأوانك بكثيرٍ»

بحقّ الجحيم، لماذا وافقت أن آتي معها في تلك الرّحلة؟، هل يستطيع جهازي أن يخبرني الإجابة على ذلك السّؤال؟

***

حسنًا، صوفيا هي والدتي، أتمنّى لو أنّها ليست كذلك، لكنّ السّجلّ المدنيّ لا يكذب أبدًا، أكره مصطلحاتها القديمة الغبيّة وأكره نظّاراتها الشمسية ذات الموضة القديمة ويديها المكتنزتين.

يطفو منطادٌ خلفنا، وأستطيع رؤية ستّ طائراتٍ ضخمةٍ والعديد من الطائرات الشّراعيّة الصغيرة في أرض المطار. مطار أمستردام ليس ضخمًا كمطار ستوكهولم، لن تري أيّة لوحاتٍ إعلانيةٍ ضخمةٍ تطفو هاهنا، تلك هي وجهة السّيّاح الأخيرة، بمجرّد أن تهبط من الطّائرة تسارع الرّوبوتات التي ترتدي أزياءً رسميّةً بأخذ متعلّقاتك وهي تقول بصوتٍ آليٍّ:

«مرحبًا بكم في أمستردام».

الرّوبوت الخاصّ بأمّي مدّ يده لها كي لا تتعثّر وهو يقول: «انتبه لخطواتك»

وهذا جعلها تحمرّ خجلًا، أنا لا أمزح!

دخلت لبوّابة السّجلّ المدنيّ قبل أن يظهر على شاشتها: «صوفيا جوهانسون، ستوكهولم، ٤-٨-٢٠٤٥».

تبلغ أمّي من العمر الآن ثلاثةً وأربعين عامًا، ولن تجد رجلًا واحدًا يقول أنّ شكلها يناسب سنّها، انتظرت أن يسمح لها الجهاز بالعبور وأخذت تسترق النّظرات، مدّت يدها لتعبث بشعرها الأشقر الذي اعتنت به جيّدًا من أجل تلك الرّحلة، آسفةٌ يا أمّي لكنّ شعرك الأشقر لن يقنع الرّوبوتات والطّائرات بدون طيّارٍ والأجهزة الحديثة أن يتركوك تمرّي، لكنّها غلطتك، أنت من اخترت قضاء عطلة نهاية الأسبوع في أمستردام برفقة ابنتك.

كانت الأمور تسير بسلاسةٍ وعلى ما يرام، أتى دوري، تصرّفت كأنّ لا شيء مهمّ يحدث، فحص الجهاز رقاقتي: « تيس جوهانسون، ستوكهولم، ١٧-٣-٢٠٧٢».

ظهرت مجموعةٌ ضخمةٌ منض الأرقام على الشّاشة، يقترن الجهاز الآن بجهازي الخاصّ.

كليك، «تيس، مرحبًا بك في أمستردام»!

مرحبًا بك في رأسي!

بعض الرّقاقات تحتاج للتّحديث كي تستطيع إضافة زيّك التّنكّري إلى بطاقتك الشّخصيّة، لكنّي بالتّأكيد قمت بهذا، وبكلّ صراحةٍ كنت أفضّل ألّا أفعل، على أيّ حالٍ فالجهاز يعرف مكان وتاريخ ميلادي، فتاةٌ سويديّةٌ تبلغ من العمر ستّة عشر عامًا، وماذا بعد؟

جهازي يستطيع التّحدّث بجميع اللّغات، يستطيع أن يفعل كلّ ما أشاء

صوفيا، والدتي، لا تفهم أمر الزّيّ التّنكّريّ، أنا جنّيّة الماء من لعبة المستنقعات، وتلك هي لعبة الفيديو المفضّلة لديّ وأستطيع أن ألعبها داخل رأسي على جهازي الشخصيّ، أقضي أيّامًا بأكملها ألعب داخل ذلك العالم المائيّ الرّائع، لو أنّ الأمر بيدي لغيّرت صورتي في بطاقتي الشّخصيّة لتلك الصّورة الرّائعة للفتاة ذات الشّعر الأزرق والفستان القصير، الشّيء الوحيد الذي ينقصني كي أتحوّل إليها هو جناحاها، لكنّي أدّخر المال من أجل القيام بعمليّة زراعة جناحين، سأفعل المستحيل لأحظى بهما، ولم أكن الوحيدة، حين اقتربت بصحبة أمّي من محطّة القطار الكهربائيّ استطعت

أن أرى أنّ أمستردام تعجّ بالأزياء التّنكّريّة، هناك شياطين، أبطالٌ خارقون، محقّقون مثيرين ومثيراتٌ والعديد من الجواسيس، لكنّني كنت جنّية الماء الوحيدة هنا، هذا جيّدٌ ... أحبّ أن أكون متميّزةً.

لم يكن زيّي التّنكّريّ هو الشيء الأغرب على رصيف الانتظار، فبجوارنا كان هناك من يرتدي جلباب حمايةٍ بيولوجيًّا من المملكة العربية السّعودية، بعض الأشخاص الذين يرتدون مضادّاتٍ جاذبيةً، زيًّا هنديًّا تقليديًّا، عباءةً مزيّنةً بالأضواء من خليج البنغال، وكلّ واحدٍ من هؤلاء بجواره روبوته الخاصّ يرتدي زيّه التقليديّ ويحمل حقائب سيّده، تطفو طائرات الشّرطة الصغيرة فوق رؤوسنا لتنتبه للحضور.

فجأةً، استطعت أن أسمع صراخًا، استدرنا أنا وصوفيا تجاه مصدر الصّوت في الوقت نفسه.

رجلان ريفيّان، سويديّان ذوا كروشٍ عملاقةٍ، يصرخان بشأن شيءٍ ما وهما يلوّحان بأيديهم، قبل أن يسقط أحدهم وهو يطوّق رجلًا صينيًّا صغيرًا

قالت صوفيا: «سكارى»

حقًّا؟! هل يترك كوبٌ من الجعّة مثل هذا التأثير؟! لكنّني

لن أندهش لو أنّ تلك هي حقيقة الأمر، السّكارى عادةً ما يكونون مبتهجين، لكنّ هؤلاء....

فجأةً استطعنا سماع صوت شخصٍ ما يتقيّأ، من حسن حظّي أنّني استدرت قبل أن أرى الأمر، حسنًا ... يبدو أنّ صوفيا على حقٍّ في النّهاية.

بدأ شيءٌ ما بالأزيز فوق رؤوسنا.

ثلاثةٌ، أربعةٌ، بل خمسة طائراتٍ صغيرةٍ تطفو سريعًا فوقنا وهي ترشّ سائلًا لامعًا على الرجال، وفي لحظاتٍ قليلةٍ صنع ذلك السائل فقّاعاتٍ شفّافةً حولهما، اختفى صوتهما داخلها، بدأت الفقّاعات في الارتفاع وهي تسير خلف الطائرات نحو المخرج.

قالت إحدى الطّائرات بأدبٍ: «سيتمّ الآن ترحيلكم».

أتى قطارنا، ركبت أنا وصوفيا لكنّ زيّي علق في الباب، وحاولت الدّخول بقوّةٍ فانتهى بي الأمر لأصفع أحدهم بجناحي المستعار على وجهه، أمرٌ محرجٌ!

***

أمستردام دولةٌ جميلةٌ، لكنّها مملّةٌ للغاية، حقول خزامى، والمزيد منها، الكثير من تلك الحقول الطويلة والممتدّةٌ

إلى ما لانهاية، العديد من الألوان الزّاهية، وكلّ بضع دقائق تطفو طائرةٌ صغيرةٌ وسط الحقول، جميع حقول الخزامى بأمستردام مزروعةٌ بشكلٍ آليٍّ تمامًا.

حاولت أن أظلّ صامتةً وأن أتجنّب الحديث مع صوفيا لأطول وقتٍ ممكنٍ، حاولت النّظر داخل رأسي، قضاء أطول وقتٍ ممكنٍ فيها، أرى فمها يتحرّك ويداها لا تتوقّفان عن الحركة، أحتاج أن يقرأ الجهاز أفكاري، ومن حسن حظّي أنّه فعل. على الفور اندلعت موسيقى لعبة المستنقعات في رأسي، وسط الموسيقى وصوت تساقط المياه أشعر بالهدوء والطّمأنينة.

لم أشعر بالتّحسّن حين وصلنا أخيرًا للمدينة، أخبرني جهازي أنّ المدينة كانت أكبر من هذا بكثيرٍ، هدم الهولنديّون العديد من البيوت والمصانع من أجل خلق مساحةٍ أكبر للسّيّاح، هل تتخيّلون الأمر؟ بيوتٌ قاومت الزّمن منذ القرن السّادس عشر والقرن السّابع عشر تهدم بسهولةٍ. المدينة خاليةٌ تمامًا من السّيّارات، الأنفاق هي وسائل الانتقال هنا.

قضيت اليوم بأكمله أتبع أمّي وهي تنتقل بين محلّات الأجبان، لا أظنّ حقًّا أنّ الجبنة لها أيّ طعمٍ على الإطلاق، تظنّ صوفيا أنّ تلك المكعّبات الصفراء الصغيرة التي تتذوّقها على أبواب المحلّات لها نفس طعم القوالب الكبيرة التي

تشتريها، هل تمزح؟ بالطّبع هي لا تملك الجهاز الذي يتيح لي أن أعرف تقييم العملاء السّابقين للمتجر، لا أظنّ أنّ هناك غيرها يشتري هذا الكمّ من الأجبان.

أخبرني الجهاز أنّ أمستردام تشتهر بمقاهيها الـ ...، كليك، التّالي، نبات القنب، وهو نباتٌ شهيرٌ يزرع هنا، أوراقه لها جذعٌ طويلٌ وتزن من خمسةٍ إلى تسعة أوقياتٍ، يصل طوله لأربعة أمتارٍ في الغالب، اعتاد النّاس أن يستخدموه في صناعة الحبال والمنسوجات والورق، ثمّ استخدموه لصناعة الحشيش المخدّر، وهو مخدّرٌ مماثلٌ للماريجوانا، ويؤدّي للشّعور بـ «المتعة».

كليك، في الحقيقة لا أعرف ماذا أفضّل أكثر، هل المخدّرات الإلكترونيّة التي يستطيع بعض الأشخاص إضافتها للأجهزة، أم المخدّرات الحقيقيّة مثل التي تستخدمها صوفيا وتضعها في حقيبتها وهي تظنّ أنّني لا أعلم بشأنها.

أخبرني الجهاز أيضًا أنّ أمستردام كانت معروفةً بالدّعارة، لكنّها الآن مشهورةٌ ببيع الأجبان والقوارير الزّجاجيّة الصغيرة ذات السّدادات الفلّينيّة.

هل يمكن أن يصبح الأمر أكثر مللًا؟

لم أعد أتحمّل، اكتفيت حين توقّفت أمّي أمام النّصب

التّذكاريّ وصمّمت على أن نلتقط صورةً بجواره، ثمانية حروفٍ مضيئةٌ باللّون الأحمر تكوّن كلمة (أمستردام)، تحمّلتها حين ظلّت ساعةً تبحث عن سدادةٍ مصنوعةٍ من مكوّناتٍ عضويّةٍ، وقضيت تلك السّاعة في لعب لعبة المستنقعات، لكنّ الآن ... نفد صبري

قلت لها: « أريد أن أذهب».

«بحقّك، القليل من الوقت فقط، أرجوك يا جنّيّة الماء، انتظريني هنا بجوار تلك التّافورة.. حسنًا!».

كلّ مدينةٍ، كلّ دولةٍ، هي دائمًا نفس القصّة، رحلتنا في كوبنهاجن، رحلتنا في القلعة ببولندا، كلّ شيءٍ رأيناه في زيارتنا للهند، وحتّى زيارتنا لفنلندا، نفس التّفاصيل المكرّرة المملّة، أكره كون صوفيا مملّةً ولا تمتلك حسّ المغامرة.

سأل بضيقٍ: «حسنًا، ماذا تفضّلين أن نفعل؟»

«أريد أن أذهب للفندق فحسب».

***

الفندق يدار بالكامل بشكلٍ آليٍّ تمامًا، في المطعم مثلًا الذي زرناه بعد الظّهيرة، عليك أن تختار بين المكرونة والبيتزا، تختار من الآلة نوع البيتزا التي تريدها وتدفع عن طريق

سوارك الماليّ قبل أن يأتيك ما طلبت بعد بضع دقائق، اخترت البيتزا. في الحقيقة البيتزا هنا لا يميّزها أيّ شيءٍ عن البيتزا في أيّ مكانٍ آخر سوى في الطّبقات العديدة من الجبن الذّائب فحسب.

كان المطعم مزدحمًا، أستطيع سماع الأشخاص يتحدّثون باللّغات الصّينيّة، الإسبانيّة والرّوسيّة، لا يبدو أنّ هناك سكّانًا محلّيين، العديد من السّيّاح والرّوبوتات التي تعمل بالمطعم فقط وتحيّيك حين تدخل: «مرحبًا، نحن سعداء لرؤيتك».

اخترت مقعدًا بجوار النّافذة، طويت جناحيّ المستعارين بين ظهري وبين المقعد، تحدّثت صوفيا «بشأن ذلك الزّيّ»!

«أمّي! من فضلك، أخبرتك من قبل أنّ تلك الأزياء ليست من أجل السّيّاح فقط».

تناولت قطعةً من البيتزا الخاصّة بها وهي تنظر لي قبل أن تسأل بتردّدٍ: «هل ما زلتي تصرّين على القيام بتلك الجراحة التّجميليّة؟»

«بالطّبع».

حاولت الحفاظ على هدوئي لكنّ عيني امتلأت بدموع الغضب، كنت أعلم، كنت أعلم أنّها ستتحدّث عن الأمر!

سألتها بغضبٍ: «هل صمّمتي على حضوري لتلك الرّحلة لهذا السّبب؟»

حاولت أن تتظاهر بالبراءة وهي تقول: «لا، لا ... أنا فقط، أنت تعرفين، أردت أن أقضي مع ابنتي بعض الوقت فحسب».

« أجل، بالطّبع».

«ماذا تقصدين؟، ألا تستطيع الأمّ قضاء المزيد من الوقت مع ابنتها؟»

«أنت فقط تضغطين عليّ».

«لا أفهم لماذا تفكّرين بهذه الطّريقة، هل تعتقدين أنّ هذا ضروريٌّ؟»

«أنت تعرفين يا أمّي أنّ جنّيّة الماء لديها جناحا يعسوبٍ ضخمان».

«أجل، وأعرف كذلك أنّها شخصيّةٌ كارتونيّةٌ، وأتعجّب أنّك تريدين تقليدها، ومن أجل هذا ستقومين بإجراء جراحةٍ طويلةٍ».

«مدّة العمليّة خمس ساعاتٍ فقط، وهي شخصيّةٌ من لعبة فيديو».

كنت أتظاهر أنّ الأمور على ما يرام، لكنّني أعرف المزيد عن عملية زراعة الأجنحة، إذا أردت أجنحةً تستطيع أن تطير بها سيقومون في البداية بزراعة بعض العضلات أوّلًا كي تستطيع حمل وزنك، ومن ثمّ سيقومون بربطها بنخاعك الشّوكيّ.

«بعض الأشخاص يصابون بشللٍ نصفيٍّ بسبب تلك الجراحة».

«بعض الأشخاص يصابون بشللٍ نصفيٍّ بسبب السّقوط من على السّلّم».

«أنا جادّةٌ في حديثي يا بنيّتي، تلك جراحةٌ خطرةٌ، بالإضافة لأنّها غير ضروريّةٍ تمامًا، وهي باهظة الثّمن للغاية».

«هي نقودي، وللعلم هي ضروريّةٌ للغاية».

بدأت أشعر بالغضب منها، تابعت: «هذه هي أنا».

«حقًّا؟ منذ وفاة والدك وأنا أشعر أنّني لا أعرفك، صبغتي شعرك بالأزرق وارتديت تلك الملابس...». «هذه هي أنا».

«جنّيّة ماءٍ؟ تلك شخصيّةٌ كارتونيّةٌ!»

«شخصيّةٌ لعبةٌ».

«ماذا حدث لابنتي الجميلة؟».

«لماذا لا تستطيع تقبّل شخصيّتي اللّعينة؟»، صرخت فيها بصوتٍ عالٍ، أكملت صراخي: «أنا بالغةٌ الآن، وعليك أن تتقبّلي حقيقة أنّني جنّيّة ماءٍ لعينةٌ».

«لكن لماذا لا تقبلين بحقيقتك يا صغيرتي؟»

«أمّي ...».

ألقيت بالجناحين المستعارين على المنضدة أمامها وأنا أقول بغضبٍ: «هذه هي حقيقتي!».

شحب وجه أمّي وظهر عليها الارتباك، عرفت يقينًا أنّ الأمر لم يكن بشأن تلك الأجنحة المستعارة أو بشأن أيّ شيءٍ قلته، كانت تنظر للنّاس الذين جذب صراخي انتباههم.

نظرت حولي، الجميع يحدّقون بنا الآن، الثّنائيّ الفرنسيّ الذي يجلس خلفنا، الزّوجة ترتدي بدلةً رسميّةً وتدقّ بنا، كأنّها تشاهد فيلمًا ممتعًا، بينما زوجها يراقبنا بفضولٍ، لكن ما لفت نظري كان الخيط الأبيض الذي يتدلّى من أنفه

هل كان يحاول أكل الإسباجيتّي عن طريق سحبها داخل أنفه؟

لا، أيًّا كان الشّيء الذي يتدلّى من أنفه فهو حيٌّ، كان الشّيء يتلوّى، يحاول الرّجل أن يقول شيئًا لكنّه يصدر صوتًا غير

مفهومٍ، عيناه مليئتان بالدّموع وأنفه ينزف بشدّةٍ، هوي بقوّةٍ وسقط وجهه في طبقه، سقط كأس نبيذه أرضًا، انطلقت الدّودة خارج أنفه وزحفت على المنضدة.

هذا جنونٌ مطبقٌ.

روّاد المطعم إمّا يشاهدون ما يحدث ببلاهةٍ أو يجرون بخوفٍ في كلّ الأنحاء، المزيد من الدّيدان تنبثق في كلّ مكانٍ، يزحفون خارج فتحات الآذان، الأنوف والأفواه، طول كلٍّ منهم على الأقلّ ثلاثون سنتيمترًا، بعضهم تحوّل لونه للورديّ بسبب الدّماء.

صاح صوتٌ ما: «أرجوكم، حافظوا على هدوئكم».

رجل أعمالٍ يابانيٌّ يقف فوق منضدته وهو يصيح بالموجودين، يرتدي بدلةً زرقاء، على الأرجح هو مدير شركةٍ ما، أعتقد أنّه يملك السّلطة.

«حافظوا على هدوئكم».

لاحظت أنّه يتنفّس بصعوبةٍ، عينه اليمنى ترتعش بدورها، عينه اليسرى تدور حول نفسها بشكلٍ مخيفٍ، وتزداد سرعة دورانها بمرور الوقت، قبل أن تسقط أرضًا وهي تصنع صوتًا مكتومًا.

هرعت بعض الدّيدان سريعًا من محجر عينه الفارغ.

انحنى ليلتقط عينه الصارخة وهو يصرخ كالمجنون.

***

كانت الأمور أسوأ في الشارع، أسوأ بكثيرٍ.

قالت صوفيا ونحن نندفع خارج المطعم: «من هنا!». أشارت باتّجاه الفندق، رفضت قدمي إطاعة الأمر، لا أستطيع فهم ما يحدث. كليك، لا شيء، الجهاز يستطيع فقط مدّي بالمعلومات المعروفة، أمّا هذا فشيءٌ لا تفسير له

ناديت أمّي: « انظري!». كانت المدينة تتصرّف كأنّ شيئًا لا يحدث، الأنظمة الإلكترونيّة لا تشعر بفداحة الأمر، يعدو السّيّاح في الشّوارع كالنّمل، كلٌّ يعدو في اتّجاهٍ مختلفٍ، استطعت أن أرى الدّيدان البيضاء تتدلّى خارج بعض الآذان، تتلوّى مثل علامات الاستفهام. آخرون يمتلكون أعينًا دمويّةً، تشقّ الدّيدان طريقها من كلّ مكانٍ ممكنٍ، سأوفّر عليكم بعض التفاصيل، يصطدم النّاس ببعضهم البعض ويسقطون أرضًا لسحق بعض الدّيدان الزّاحفة.

هؤلاء النّاس من محطّة القطار، فكّرت، ربّما كانوا مصابين بدورهم.

أستطيع أن أرى شابّةً حسنة المظهر تنظر لابنها الصغير الذي يتلعثم قائلًا: « أمّي». قبل أن يبصق دودةً طويلةً، زحفت سريعًا على وجهه قبل أن تسقط أرضًا، حاول رجلٌ عجوزٌ مساعدتها، لكنّ الدّودة قفزت فوقه لتخترق جسده، يحاول العديدون مساعدة بعضهم البعض لكنّهم يزيدون الأمر سوءًا، يجذبون الدّيدان خارج الأجساد، لكنّها تتشبّث بقوّةٍ لتخرج بصحبتها بعض الأمعاء أو تمزّق بعض الأعضاء الدّاخليّة.

أمسكت صوفيا يدي وهي تقول: «انسي أمر الفندق الآن، علينا أن نجد طريقةً نذهب بها للمطار».

كليك.. زوّدني الجهاز بخريطة المكان ومواعيد السّفر، ممتازٌ! هناك محطّةٌ تدعى (دومونت) قريبةٌ للغاية، تبعد حوالي خمس عشرة دقيقةً فقط.

عدونا، عدونا بأقصى سرعةٍ ممكنةٍ، يتطاير ثوبي وأجنحتي بشكلٍ كبيرٍ لكنّ من حسن حظّي أنّ جنّيّة الماء ترتدي أحذيةً رياضيّةً، أستطيع سماع الدّيدان تقتحم الأجساد من خلفي.

يجري رجلٌ نحيفٌ بجوارنا وهو يصرخ، المتبقّي من رأسه هي كتلة لحمٍ مفرومٍ فقط، يتوقّف بجوار سور الجسر قبل أن يقفز، تتطاير الدّيدان فوقه أثناء سقوطه قبل أن يتعكّر

الماء بالدّيدان والدّم.

يحاول الجميع الوصول للمطار، مدخل محطّة القطار ممتلئٌ بالكامل، حطّموا اللّوحات الإعلانيّة المحيطة بالمدخل، العديد من السّيّاح بمختلف الأعراق والجنسيّات يتدافعون للدّخول، وكلّهم في حالة صدمةٍ تامّةٍ، أرى أطفالًا وبالغين يبكون بخوفٍ، رجلًا ساقطًا أرضًا تحت الأقدام والجميع يدهسون جثّته بلا مبالاةٍ.

لن تتركني أمّي كثيرًا، جذبتني بعنفٍ، لا تبدو على وجهها أيّة تعبيراتٍ، تمامًا حين كانت تضطرّ لاصطحابي بعد انتهاء اليوم الدّراسيّ.

صرخت: « من هنا!». بدأنا نعدو نحو واحدةٍ من بوّابات المحطّة، يتكدّس الجميع فوق بعضهم البعض حرفيًا، الخوف يسكن ملامحهم جميعًا، بدأت أبواب القطار تغلق ببطءٍ، بدأ القطار في التّحرّك ببطءٍ لكنّه يبتعد عنّا، وبسرعةٍ شديدةٍ انفجر رأس امرأةٍ سمينةٍ بصوتٍ مكتومٍ، وامتلأ الهواء بالدّيدان البيضاء المتراقصة، حاول الجميع التّراجع، لكنّ المكان ضيّقٌ، المكان لا يتّسع للجميع، دفعوا بعضهم البعض بعنفٍ وهم يصرخون، جذب أحدهم مقبض الطوارئ، توقّف القطار عن الحركة، استطعت رؤية شخصٍ يضرب نافذة القطار بقبضتيه من الدّاخل.

« اتركوني أرحل، أريد الذّهاب».

استطعت سماع الزّجاج يتكسّر، استطعت رؤية أمّهاتٍ تقفزن بأطفالهنّ من النّافذة المكسورة.

شعرت كأنّني في كابوسٍ بطيء الحركة، رأيت قطارًا يكتظّ بالرّكّاب يأتي من الجهة الأخرى، أضاءت المحطّة باللّون الأحمر، لكنّ الأوان قد فات، قفز أحدهم من القطار المتحرّك بسرعة ٢٠٠ كم/الساعة ليهرب من الدّيدان، لكنّ البعض قد تجمّدوا، اتّسعت أعينهم بخوفٍ، تطايرت الدّماء والأشلاء من اصطدام القطارين.

سمعت صوت الفرامل وهي تصرخ بينما بدأت بعض العربات في التّحطّم

جذبتني أمّي بعيدًا عن الرّصيف في نفس لحظة الاصطدام تقريبًا.

يبدو أنّها نهاية العالم.

استطعت أن أسمع الأصوات وأنا أعود للواقع مرّةً أخرى، هناك شخصٌ ما يدعو الله بلغةٍ أجنبيّةٍ لم أفهمها.

جذبتني صوفيا بعيدًا عن حطام القطار، امتلأ النّفق بالدّخان، استطعت أن أرى بقايا الجثث تحت الحطام، يبدو

أنّ الدّيدان ستحظى بوليمةٍ ضخمةٍ.

قالت صوفيا ببساطةٍ: «يبدو أنّ حركة القطارات ستتوقّف تمامًا، علينا أن نفكّر في طريقةٍ أخرى».

***

قرّرنا أن نختبئ، فآجلًا أو عاجلًا ستأتي السّلطات للبحث عن التّاجين، قالت صوفيا: «سيأتون للبحث عن التّاجين، إمّا الشّرطة أو الجيش، أحدهم سيأتي».

وكانت على حقٍّ، لدينا فرصةٌ للنّجاة إذا استطعنا عدم التقاط العدوى، أخبرتني أنّها تعرف كنيسةً قريبةً تصلح للاختباء، ليست بعيدةً عن محطّة القطار دي مونت، تشعر أمّي بالأمان في الكنائس وتنتظم في حضور القدّاس كلّ يوم أحدٍ.

لكنّ قبو الكنيسة كان يعجّ بالدّيدان، أحدهم يستخدم مطفأة الحريق لردعهم، تغرق المياه الكنيسة بأكملها، من مكاني استطعت رؤية الرّاهب وهو يتدلّى من على المحراب مفتوح الفم، ورأيت الكتب والأوراق تطفو فوق المياه، يبدو أنّه فكّر في ردع الدّيدان عن طريق إغراق الكنيسة بالمياه قبل أن يتمكّنوا منه ويحبطوا خطّته، تبدو الدّيدان الآن وكأنّها ثعابين تعوم في المياه، أضواء الكنيسة الحمراء

والزّرقاء جعلت المشهد يبدو مخيفًا، شقّت الدّيدان طريقها عومًا وسط المياه التي تملأ الكنيسة.

رأينا أنّ الدّيدان ربّما ستجد صعوبةً في تسلّق برج السّاعة المصنوع من الحجر القديم، لن تجد تلك الطّفيليّات طريقًا للصّعود سوى عن طريق اقتحام جسد أحد الصّاعدين فقط، علينا إذًا أن نتجنّب الآخرين، هم الخطر المحدق، والآن رأينا سببًا آخرًا يدعونا للصّعود للبرج بسرعةٍ، بعض مثيري الشّغب في الكرّة الإنجليزيّة يتحرّكون في أنحاء المدينة الآن، يصرخون في الموجودين ويحطّموا محلّات الأجبان ليسرقوها

وجدنا بعض البطّانيات الثّقيلة بالأعلى، يبدو أنّ البرج الحجريّ باردٌ، ارتفاعه مع الطّقس الحاليّ يدعون للحذر.

جذبت صوفيا إحدى البطّانيات وهي تسألني: «هل أنت جائعةٌ؟»

أجبتها بصدقٍ وأنا أستند برأسي إلى كتفها وأتدثّر بالغطاء: « لا». حلّ اللّيل، بدأت النّجوم تتلألأ في السّماء، المدينة بعيدًا تحت أقدامنا تتحوّل لساحات فوضى بيضاء، أمّا بالأعلى فالطّائرات الصّغيرة لا تزال تطير بانتظامٍ لتضفي على الأمر المزيد من الغموض والحيرة حول خطوتها التالية، ما حدث كان أمرًا غير مخطّطٍ له تمامًا، كانت الطّائرات

تحدث أشخاصًا غير موجودين بغرض خدمتهم.

«هل أستطيع مساعدتك؟». «هل تريد الذّهاب لمتحف فان جوخ؟». «انتبه لخطواتك»

«هل أنت بخيرٍ؟»

نظرت لأمّي متسائلةً: «بحقّ الجحيم أين السّلطات؟». قالت وهي تنظم شعري الأزرق: «لا أعرف، لم نر مواطنًا هولنديًا واحدًا منذ وصولنا».

هذه حقيقةٌ!، فقط الرّوبوتات والطّائرات الآليّة بدون طيّارٍ أمرٌ غريبٌ!

كان الأمر لطيفًا وأنا أجلس بجوارها متدثّرتين بغطاءٍ واحدٍ، رغم كلّ شيءٍ يحدث شعرت بالهدوء.

تناهى إلى انتباهي أنّني لم أسمع أو أرى جهاز الواقع الافتراضيّ الخاصّ بي منذ حينٍ، ضغطت على الرّقاقة المزروعة في وجنتي، لا شيء، يجب أن تعمل أجهزة الإرسال، يبدو أنّها تضرّرت، إلى متى سيستمرّ غزو الدّيدان؟ هل احتلّت الدّيدان العالم بأكمله أم أنّها تلك الدّولة فقط؟ ومن أين أتوا؟

شعرت بالنّعاس، كنت مرهقةً تمامًا

استيقظت بعد بضعة ساعاتٍ على صوت أمّي تناديني بصوتٍ مكتومٍ

« تيس ...!»

نظرت لها، كانت تتصارع مع دودةٍ طويلةٍ، ملتفّةٍ حول عنقها مثل ثعبان البوا، لونها أبيض يميل للأصفر، طولها حوالي مترين كاملين، ويبدو أنّها استطاعت صعود السّلّم وصولًا لهنا.

« النّجدة!». تحوّل لون وجهها للأحمر، تحاول أن تجذب الدّودة بعيدًا عنها بيديها الاثنتين، لكنّها زلقةٌ وتتمسّك بها بقوّةٍ، تبدو نهايتها كأنّها متقابٌ قويٌّ، كنت قريبةً منها واستطعت رؤية تفاصيلها بوضوحٍ، لا تمتلك أعينًا، مجرّد فمٍ عملاقٍ، وداخل هذا الفم صفّان من الأسنان البيضاء الحادّة، يسيل لعابها على شكل نقاطٍ بيضاء ضخمةٍ، رائحتها كريهةٌ للغاية.

«أمّي!»

حاولت جذبها لكنّها كانت أقوى من جنّيّة الماء، استطعت سماع صوت أمّي يخفت للغاية، تحاول أن تلتقط أنفاسها بصعوبةٍ، عيناها متّسعتان بقوّةٍ وهي تصارع تلك الدّودة، رأيت في عينيها انعكاس الرّجل ذي العوينات المستديرة

وهو يقترب في اللّحظة الأخيرة.

***

لغرابة الأمر كان يحمل سيفًا في يدٍ وشعلةً مضيئةً في اليد الأخرى، كان صغير الحجم لكنّه يبلغ من العمر حوالي خمسين عامًا، مظهره غريبٌ للغاية بالمعطف القديم وأكمامه المطويّة للدّاخل، لم يبد عليه الخوف

«هنا، أيّها الوحش القذر، تعال هنا»!

التفتت له الدّودة القبيحة وعلى الفور عالجها بضربةٍ قويّةٍ من سيفه لكنّ الأمر كان يشبه كما لو أنّه يضرب شريطًا مطّاطيًّا، مرّت لحظةٌ والدّودة تحاول استعادة توازنها، انتصبت مرّةً أخرى وهي تبرز أنيابها الحادّة وتستعدّ للهجوم، وانشغلت الدّودة تمامًا بالهجوم.

«اجذبي يدها».

صرخ الرّجل وهو يضرب الدّودة ضربةً أخرى، تلوّت الدّودة حول نفسها، السّيف لا يؤثّر فيها لكنّه بالتّأكيد يشتّت انتباهها عنّا

أمسكت يد صوفيا بقوّةٍ وجذبتها وأنا أقول: «تشبّثي».

ضرب الدّودة ضربةً ثالثةً، رابعةً وخامسةً، حاول تهديدها

بشعلته المضيئة وبدا هذا أكثر فاعليةً، تراجعت الدّودة بسرعةٍ في خوفٍ، استطعت أن أفهم خطّته، يدفعها دفعًا نحو حافّة البرج.

ضربها ضربةً أخيرةً بسيفه فاختلّ توازنها وسقطت عن حافّة البرج، أمسكت صوفيا بقوّةٍ، لكنّ الدّودة أبت أن تستسلم بتلك السّهولة، نجحت في لفّ ذيلها على قدم صوفيا وأرادت جذبها بصحبتها في رحلة السّقوط

صرخت بقوّةٍ: «أمّي!». سارع الرّجل بوضع قدمه على ذيلها وهو يقطعه بسيفه

أخيرًا استسلم الوحش وتركها، بعد دقائق سمعنا صوت ارتطامه بالأرض،

استعادت صوفيا توازنها مرّةً أخرى.

ما زال ذيل الدّودة يتلوّى ويواصل الحركة، ركله الرّجل بقوّةٍ من فوق الحافّة

خلع نظّارته ونظر للسّيف وهو يبتسم ابتسامةً خجلى، ويقول: «ما زال حادًّا، رغم أنّه ينتمي لتمثال كنيسة سانت جورج».

ساعد صوفيا على الوقوف بثباتٍ، قالت: «ظننّا أنّنا سنكون

بأمانٍ هنا لحين قدوم السّلطات».

لم ينظر لها وهو يقول: «لا أفضّل الاعتماد عليهم»!

***

كانت هذه هي الطّريقة التي قابلنا بها اختصاصيّ المسودات، لم أسمع عن هذه المهنة من قبل وجهازي لا يعمل، لكنّه بدأ يشرح معنى وظيفته بمنتهى البساطة، هو اختصاصيّ وخبيرٌ في الدّيدان، يتحدّث الإنجليزية بطلاقةٍ، نجلس الآن أمامه وأحاول جاهدةً أن أحافظ على مستوى ضربات قلبي.

قلت: «شكرًا جزيلًا، أنقذت حياة أمّي».

ابتسم بخجلٍ وهو يقول: «لقد قضيت الوقت الأطول من حياتي خلف الميكروسكوب، لكنّ هذا الأمر مختلفٌ تمامًا».

مرّر يده عبر شعره الرّماديّ وهو يقول: «تلك هي الدّيدان الخيطيّة، أنا متخصّصٌ في هذا النّوع من الدّيدان، ديدانٍ صغيرةٍ مجهريّةٍ تسمّى النّيماتودا، تعتبر من أكثر الأنواع شيوعًا على وجه الأرض، تمّ العثور على أكثر من ٢٥ خمسةٍ وعشرين ألف نوعٍ مختلفٍ منها، في الأغلب هي مجرّد طفيليّاتٌ، لكنّها تلعب دورًا مفيدًا في بعض الأحيان مثل أن نستخدمها كمبيداتٍ بيولوجيّةٍ ضدّ القواقع والحشرات».

« لكنّ هذه النّيمو ... النّيما ...». « النّيماتودا، لكنّ تلك الدّيدان هي نسخةٌ عملاقةٌ منها، لكنّني بصراحةٍ لا أستطيع تخيّل فتاةٍ بأجنحةٍ مستعارةٍ مهتمّةٍ بالبيولوجيا؟»

شعرت بالإهانة، هذا الرّجل يتمتّع بالقليل من الغرور، ينظر لي بعدم رضا، نظرت لثوبي فوجدته ملطّخًا ببعض البقع الصّفراء والحمراء، كما أنّ أحد أجنحتي تضرّر بسبب القتال، قلت بخجلٍ: «حسنًا، أنا جنّيّة ماءٍ من لعبة المستنقعات».

ابتسم ولم يعلّق.

تساءلت بغضبٍ: «ولماذا أرادت تلك الدّيدان أكل أمّي؟»

قال بلطفٍ: «للأسف هذه مشكلةٌ صغيرةٌ تسبّبت بها حقول الخزامى، عارٌ على هذه الدّولة أن تعذّب السّيّاح بهذا الشّكل، تلك الدّيدان معروفةٌ للمزارعين، تتطفّل على البطاطس والخزامى، لكنّها المرّة الأولى التي أراها فيها تحاول التهام سيّداتٍ سويديّاتٍ جميلاتٍ».

يا إلهي! احمرّت صوفيا خجلًا، حقًّا؟ هنا والآن؟ لا تستطيع التّوقّف عن الوقوع في أحبال الرّجال خلال العشر سنواتٍ الأخيرة، حتّى هذا القصير بأنفه المدبّب ومزحاته السّخيفة استطاع لفت أنظارها.

قال بيأسٍ: «كنت أحذّر السّلطات طوال شهورٍ، أخبرتهم أنّ بعض تلك الدّيدان ستنمو وستصل إلى ثمانية أمتارٍ كاملةٍ، لكنّ هذه الأيام لا يهتمّ أحدٌ بشأن العلماء، استمرّوا فقط في زراعة المزيد من حقول الخزامى والمزيد من التّلاعب الجينيّ، والأمر سهلٌ، ما الذي ستحصل عليه حين تقوم بخلط بذورٍ معدّلةٍ جينيًّا ومبيدٍ حشريٍّ ما زال تحت الاختبار مع غباءٍ إداريٍّ؟». أشار بيده للأسفل وهو يقول: «المدمّر».

انتهى العرض، هدأ عالم الدّيدان مرّةً أخرى، ابتسم وهو يقول لي: «اقتربي أيّتها الجنّيّة، دعيني أرى إذا كنت أستطيع إصلاح جناحك».

ورغم كونه شخصًا غريبًا فإنّنا قرّرنا اتّباعه، يبدو أنّه الوحيد الذي يفهم ما يحدث.

يقول إنّ الشّمال هو المكان الآمن الوحيد.

بدأنا المشي باتّجاه الشّمال، سنصل بعد مائةٍ وخمسين كيلومترًا، ستّةٌ أو سبعة أيّامٍ من المشي على الأقدام، نتقدّم ببطءٍ لكن بثباتٍ ومن حولنا تضجّ شوارع العاصمة المصابة بالعدوى بملايين الدّيدان القذرة.

يعتقد العالم أنّ تفشّي العدوى بهذه السّرعة كان بسبب تلوّثٍ، إمّا الطّعام أو مصدر الماء، باضت الدّيدان هناك،

واليوم فقست البيوض وانتشرت في المدينة، كان الوباء يهدّد بالانفجار في حقول الخزامى منذ شهورٍ، لكنّ طائرات الصّيانة الآليّة لم تشعر بالأمر، لا تهتمّ الطائرات الآليّة سوى بقياس مستوى الماء وكمّيّة السّماد فحسب، لكنّها لا تستطيع الإحساس بعدد الدّيدان أو حجمها.

يكره سكّان أمستردام، يكرههم للغاية، حسب ما فهمت، فهو كان عالمًا عاديًّا من النّوع المملّ، إلى أن لاحظ أنّ أحدهم لا يأبه بالسّماع لتحذيراته المستمرّة، قال: «لا تثقوا في السّلطات»، ما لا يقلّ عن ثلاثين مرّةٍ حتّى الآن، يتفادى النّظر إلينا طوال الوقت، يراقب الطّائرات الآلية التي تطفو فوق حقول الخزامى بريبةٍ وهو يتحدّث عن أفكاره الخاصّة لساعاتٍ طويلة، ورغم هذا لم يخبرنا بأيّ شيءٍ مفيدٍ.

على سبيل المثال، أين نذهب؟ أحذية جنّيّة الماء لم تصنع لهذه المسافات، نرتدي نفس الملابس ونسير دون أيّ طعامٍ، ما الذي ينتظرنا بالشّمال؟ لم تقل صوفيا أيّ شيءٍ، لكنّني أرى أنّها قرّرت أن تضع كامل ثقتها فيه، تبادلنا الأدوار في نوبات الحراسة ليلًا، خشية أن تهاجمنا الدّيدان ليلًا أثناء نومنا.

رأينا بعض الأشخاص حين عبرنا حدود المدينة، لكنّنا الآن لا نرى أيّ شخصٍ سواءٌ على الطّريق أو وسط الحقول، هل مات الجميع؟، هل نجونا بمفردنا؟ أين رئيس أمستردام؟

رأيت جثثًا نصف متآكلةٍ، أربعة سيّاراتٍ عائلية محطّمةٍ وسط الطريق، طائراتٍ آليةً مهشّمةً وأخرى تائهةً والعديد من الدّيدان.

استمررنا في المشي، لأيّامٍ طويلةٍ وبلا نهايةٍ.

تحوّل الأمر لكابوسٍ مزعجٍ، الخزامى زهورٌ جميلةٌ لكنّك تعيد التفكير حين تراها طوال الوقت، مصطفّةً على الجانبين بألوانٍ مختلفةٍ، أصابني اختلاف الألوان بالصّداع، عطرهم اللّعين يكاد يفقدني صوابي، والدّيدان حولنا في كلّ مكانٍ، رأيت جميع الأشكال والأحجام، الصّغيرة منها والكبيرة، السّمينة والنّحيفة، يشتعل العالم حماسًا حين يرى نوعًا جديدًا ويسهب في الحديث عنه لكنّه سرعان ما يغلق فمه حين أرمقه بغضبٍ.

انتظر حتّى اللّيلة الرابعة قبل أن يخبرنا بمصير سكّان أمستردام، شعرنا بالغضب حين عرفنا حقيقة الأمر.

قال وهو يبتسم ويدفّئ يديه فوق النّيران: «قرّر سكّان أمستردام التّقاعد».

حاولنا طهي بعض زهور الخزامى فوق النّار كي نطمئنّ أنّها ليست مصابةً بالعدوى، نكاد نموت جوعًا بعد مشي أربعة أيّامٍ دون توقّفٍ، نحن الآن على ما يبدو في منتصف الطّريق،

لكنّه طريقٌ لا يحتوي سوى على حقول خزامى، لا ظلّ، لا أشجار وبالطّبع لا طعام، من حسن الحظّ أنّ هناك ماءً عذبًا في أنابيب الرّيّ.

أشار العالم لوجنتي وهو يقول: «إذا كان جهازك يعمل يا جنّيّة، ماذا سيستطيع إخبارنا عن شغب البير العظيم الذي حدث سنة ٢٠٥٥ ألفين وخمسٍ وخمسين، هل سمعتي عنه من قبل؟»

هززت رأسي، يملك الرجل أسلوبًا تقريريًّا مملًا كالمعلّمين، هزّت صوفيا رأسها بدورها وهي تحملق به.

بدأ يتحدّث وهو ينظّف عدسات نظّارته: «تمّ اكتشاف حقولٍ للغاز الطّبيعيّ في شمال البلاد، تحديدًا في ولايتي فيزر لاند وغرونينجين، تسبّب استخراج الغاز في حدوث زلزالٍ لكنّ الحكومة لم تهتم بالأمر، واستمرّت في استخراج الغاز، بعد مجموعةٍ أخرى من الزّلازل قرّر سكّان المقاطعتين أنّهم لن يقبلوا بالأمر بعد الآن، قاموا بثورةٍ شعبية عارمةٍ واحتلّوا محطّات استخراج الغاز وأخذوا المهندسين كرهائن، أرسلت الحكومة بجنود الجيش لتعديل الأوضاع، لكنّ هذا سبّب تصعيد النّزاع.

صمت قليلًا قبل أن يضيف: «ربّما لن تجدي تلك المعلومات في جهازك، لا أعتقد أنّ الحكومة ستسمح بانتشارها».

استكمل شرحه: «انتهى الأمر بعد حربٍ دمويّة استمرّت لخمس سنواتٍ، توصّلوا لاتّفاقيّة سلامٍ، ستتوقّف الحكومة عن استخراج الغاز، تحوّلت منطقة الغرب لمنطقةٍ سياحيّةٍ جذّابةٍ، بينما تمّ تعويض سكّان الشّمال ماديًّا بسبب إجبارهم على الهجرة أثناء اندلاع الحرب».

«ماذا تعني؟»

«أعني أنّه تمّ نقل كلّ سكّان أمستردام للشّمال، يعيشون هناك الآن، ويتمتّعون بروحٍ شرائيّةٍ ومستعدّين دائمًا للعودة حين انتهاء تنفيذ الخطّة».

تبادلنا النّظرات بدهشةٍ.

نظر العالم إلى التّار وهو يقول: «لهذا السبب علينا أن نستمرّ في الاتّجاه نحو الشّمال، هناك سنكون بأمانٍ، إنّها جنّةٌ حقيقيّةٌ، وهناك لا وجود لطواحين هوائيّةٍ أو حقول خزامى وبالطّبع لا ديدان».

بدأت أفهم الأمر: «كلّ هذه الأشياء كانت مخصّصةً للسّيّاح فقط».

قالت صوفيا بغضبٍ: «لن يستطيعون الإفلات بفعلتهم هذه»!

«لما لا؟، التّكنولوجيا هي من سمحت بحدوث الأمر من الأساس، وكان هذا هو الحلّ الأكثر عقلانيّةً، حلٌّ جيّدٌ لسكّان فيزر لاند وغرونينجين، حلٌّ جيّدٌ لسكّان أمستردام، حلٌّ جيّدٌ للسّيّاح».

صمت للحظاتٍ قبل أن يضيف: «لكنّ عليّ الاعتراف أنّ الأمر لم يسر بشكلٍ جيّدٍ طوال الوقت».

***

لم نتحدّث أنا وأمّي بشكلٍ لائقٍ منذ بدأ تلك الكارثة، هي ليست شخصًا يهوى التّحدّث، لكنّني مستاءةٌ منها بسبب عدّة أشياء مثل نظّاراتها الغبيّة، عقليّتها المحاصرة في القرون الوسطى، شكواها بسبب الجراحة واستيائها من جناحي، لكنّ أيًّا من هذا لم يبد مهمًّا في الوقت الحاليّ.

في اليوم الخامس تحدّث العالم قائلًا: «ربّما تلك العطلة الصّغيرة من جهازك الافتراضيّ أمرٌ جيّدٌ، عليك أن تخرجي من تلك الغرفة الصّغيرة الموجودة داخل رأسك».

كان باستطاعتنا أن نرى حافلةً محطّمةً داخل أحد حقول الخزامى، كانت ساقطةً نوعًا ما في خندقٍ وأبوابها مفتوحةٌ على مصراعيها، نظر لي وفهمت على الفور فيم يفكّر، ربّما باستطاعتنا أن نجد بعض الطّعام بداخلها، قرّرت صوفيا

انتظارنا على جانب الطّريق.

بمجرّد ابتعادنا عنها قال: «علينا أن نسرع، بمجرّد نفاد الطّعام، ستضطرّ تلك الدّيدان للبحث عن أماكن طعامٍ جديدةٍ، وسكّان أمستردام لن يجلسوا وينتظروا حدوث هذا الأمر، سيحاربون هذا الوباء».

كان يبدو قلقًا، حاولت أن أفهم ما يعنيه.

جثث ركّاب الحافلة المحطّمة كانوا يجلسون بثباتٍ في مقاعدهم، لا يبدو عليهم الحماس لرؤية الطّاحونة الهوائيّة، هناك تعبيراتٌ غريبةٌ على وجوههم، رائحة الموت لا توصف، تطوّرت الأمور بشكلٍ سريعٍ هنا، تلك الحفرة السّوداء التي تزيّن صدر سائق الحافلة، تبدو وكأنها مصدرًا لدودةٍ ضخمة.

حاول العالم أن يحميني من رؤية تلك المشاهد، لكنّ الأوان قد فات، كنت قد رأيتها بالفعل، وبصراحةٍ ... لم يكن هذا المشهد أسوأ ما رأيت خلال الأيّام الماضية.

جذب معطف السّائق في محاولة إخفاء جرحه الغائر، تمتم قائلًا: «لو كان جهازك يعمل الآن، لقام بحجب أغلب تلك المشاهد عن ناظريك».

أومأت، كنت قد رأيت ما يكفي من الدّيدان والأشلاء التي ستطاردني في كوابيسي لفترةٍ طويلةٍ، هذا بالطّبع إن

استطعت البقاء على قيد الحياة، حاولت النّظر للعالم لكنّه أشاح بوجهه بعيدًا، يبدو أنّ لديه جانبًا مظلمًا يخفيه، على أيّة حالٍ ... أفتقد لعبة المستنقعات.

لسوء حظّنا لم نجد الكثير، فقط رغيف خبزٍ قديمٍ، بعض علب العصير وبعض عبوات رقائق البطاطس، ظهر اليأس والإحباط على ملامح العالم

«أمّك لا تحبّ فكرة إجرائك لتلك الجراحة، لقد أخبرتني بذلك».

إذًا هي تتحدّث معه، فكّرت لوهلةٍ قبل أن أقول: «لا يهمّ هذا الكلام في تلك الظّروف، أريدها فقط أن تفهم أنّني شخصٌ مختلفٌ عنها، لقد اشترت ثلاث عبواتٍ من جبن الجودة في يومها الأوّل وصمّمت على زيارة تلك الطّاحونة الهوائيّة».

لم يستطع تمالك نفسه، ضحك.

أكملت حديثي: «بالإضافة لهذا، لا أستطيع فهم سبب اصطحابها لي في تلك الرّحلة، الأمر بأكمله لا يبدو حقيقيًّا».

«قالتها جنّيّة الماء ذات الأجنحة المستعارة ...». « حسنًا، حسنًا، لكنّها بالتّأكيد تفهم قصدي».

قال بجدّيّةٍ وصرامةٍ: «أجل، أفهمك، أفهم أنّك تفضّلين العيش في عوالمك الخياليّة، وأفهم أيضًا أنّ والدتك امرأةٌ جميلةٌ وساحرةٌ، وهي تحاول النّجاة من ذلك الوباء اللعين مثلنا تمامًا، وأنقذتك من تصادم قطاراتٍ مميتٍ قبل أيّامٍ قليلةٍ».

لقد أخبرته!

قلت له بسخريةٍ: «إذا كنت تراها بمثل هذا الجمال، لماذا لا تعطيها بعض الزّهور؟»

وبكلّ تأكيدٍ وجد هذا الأمر مضحكًا.

***

لن أتفاجأ لو علمت أنّ صوفيا تجده لطيفًا بدورها، كان رجلًا غريبًا، عجوزًا بعض الشّيء، قضى وقتًا طويلًا من حياته خلف الميكروسكوب، لكنّ هناك شيئًا جذّابًا بشأنه، هو ذكيٌّ، يحبّ الموضة القديمة مثلها، ملابسه وحذائه المدبّب لا يبدوان بهذا القدر من السّوء، قاتل دودةً بشجاعةٍ منقطعة النّظير ويبدو كأنّه يخفي سرًّا.

وسرّه هو شيءٌ لم نكتشفه حتّى اليوم السّادس، حين كان الأوان قد فات

حدث الأمر في فيخت، خطّتنا كانت أن نتّبع النّهر وصولًا للشّمال، أعرف الآن أين يختبئ سكّان أمستردام، وأنا في مزاجٍ يسمح لي أن أقول لهم عن رأيي فيهم بصراحةٍ.

استطعنا أن نعرف أنّنا اقتربنا من الحدود، حقول الخزامى أصبحت أقلّ انتظامًا، لم تزرع فيخت بأكملها مثل بقيّة الولايات، لا وجود لطائراتٍ آليّةٍ تسير بلا هدًى، نرى بعضهم مهشّمًا على جانب الطّريق أحيانًا بسبب انتهاء بطّاريّته، وكلّ بضع دقائق نرى بعض الأعشاب أو غابةً صغيرةً، رائعٌ! ... يبدو أنّنا انتهينا من الخزامى، بألوانه الزّاهية ورائحته الرّائعة.

علينا الآن أن نشقّ طريقنا وسط بعض الزّهور البرّيّة، الجوّ دافئٌ هنا، ربّما الدّفء مناسبٌ لنموّ تلك الزّهور، على أيّ حالٍ، ما رأيناه بعد ذلك كان أمرًا مثيرًا للاشمئزاز.

رأيت دودتين كبيرتين في أحد المشاتل، متشابكتين ببعضهما البعض، يبلغ طول كلٍّ منهما حوالي ٢٥ خمسةٍ وعشرين مترًا، يشكّلان شكلًا مقزّزًا ضخمًا، قرّرنا أن نبقى على مسافةٍ آمنةٍ منهم، تبدو عليهما الوحشيّة، انبعثت من المشتل رائحةٌ كريهةٌ، استطعت سماع صوت تنفّسهما المزعج

قالت صوفيا بهلعٍ: «يا إلهي!»

هل يتقاتلان؟، يبدو أنّ إحداهما تحاول التّغلّب على

الأخرى، تحاول إحداهما قضم رأس ضحيّتها بلا هوادةٍ بأسنانها الحادّة، تصرخ الأخرى بصوتٍ مزعجٍ.

سألته بخوفٍ: «هل تحاول إحداهما قتل الأخرى؟».

هزّ رأسه بالنّفي، بدت عليه علامات الخوف وهو يقول: «لا، ذلك نوعٌ من تلك الدّيدان وهي تتزاوج».

بصراحةٍ، كان هذا أكثر شيءٍ مقزّزٍ رأيته في حياتي!

يبدو شكلهما مخيفًا، حاولنا التّسلّل بعيدًا عنهم لكنّ العالم وعن طريق الخطأ دهس ذيل إحداهما.

لم تمهله الدّيدان المتزاوجة فرصةً، لفّت إحداهما ذيلها على جسده ورفعته عاليًا وهي تعتصر الحياة منه، حاول التّنفس بصعوبةٍ، أرجحته في الهواء مثل الدّمية القديمة، حاولت أن أدافع عنه، صرخت صوفيا بهلعٍ.

لكنّنا لم نستطع فعل أيّ شيءٍ.

إحداهما انحنت على وجهه وبدون أيّ نقاشٍ قضمت جزءًا من عنقه بأسنانها الحادّة قبل أن تلقيه أرضًا.

بدأ الدّم يتدفّق من جرحه على سترته الجميلة، ابتعدت عنه الدّيدان، احتضنته أمّي ولفظ أنفاسه الأخيرة بين يدي أمّي وهو ينظر لنا ونحن نبكي بحزنٍ، قال: «يبدو أنّنا جميعًا

... تحت رحمة تلك الدّيدان».

حاول التنفّس لكنّه سعل بقوّةٍ واختنق بدمائه.

صلّت له صوفيا صلاةً أخيرةً قبل أن ينتهي كلّ شيءٍ.

نظرت لعينيه للمرّة الأولى ولاحظت أولى علامات العدوى على عينه اليمنى، هناك دودةٌ صغيرةٌ تحاول اختراقها، قلت لها: «لا نستطيع تركه هنا».

أومأت صوفيا..

لن نترك جثّته فريسةً للدّيدان، لن نفعل، وضعنا جثّته في عربة تسوّقٍ وجدناها على جانب الطّريق.

أكملنا طريقنا بمحاذاة النّهر.

أبطأتنا عربة التّسوّق بالطّبع، ورغم كلّ هذا لم نشعر بأيّ جوعٍ على الإطلاق، تكاد صوفيا أن تفقد صوابها بينما أحاول أنا البقاء عقلانيّةً، يبدو أنّنا اقتربنا، أرى على الضّفّة الأخرى للنّهر أشجارًا مورقةً خضراء، طيورًا وأبقارًا.

هنا يعيش سكّان أمستردام الأصليين بسعادةٍ من نقود السّيّاح، كان يومهم صحوًا، كان باستطاعتي أن أرى سورًا عازلًا تمّ بنايته على الضّفّة الأخرى من النّهر.

هناك جسرٌ واحدٌ هنا، لونه أزرق مشرقٌ، يقف على بوّابته

المعدنيّة جنديّان يحمل كلٌّ منهما سلاحه.

ناديت عليهما من مكاني: « اسمحا لنا بالدّخول، أرجوكم».

ردّ علينا أكبرهم سنًّا قائلًا: «مستحيلٌ، هناك حالة طوارئٍ».

«نحن أيضًا في حالة طوارئٍ، إنّها معجزةٌ أنّنا استطعنا النّجاة والوصول إلى هنا».

«لدينا أوامر ألّا نسمح لأيّ شخصٍ بالدّخول».

أضاف زميله: «بالإضافة لأنّ بصحبتكم جثّةٌ ويبدو عليها الإصابة بالعدوى».

نظرت للعربة، نحو جثّة العالم.

تسبّبت الرّياح في حركة جناحي المزيّفان، لا أصدّق أنّنا نعجز عن عبور الجسر بعد كلّ هذا الجهد، ربّاه ... لكم أتمنّى أن أملك جناحين حقيقيّين الآن.

أطلق الجنود رصاصاتٍ تحذيريةً في الهواء، ورغم بعدهما عنّي إلّا أنّني شهقت وأنا أتراجع للخلف بسرعةٍ.

نظر لي أحدهما بسخريةٍ وهو يقول: «من تكونين يا ذات الجناحين، هل أنت بعوضةٌ أم ذبابةٌ، هيّا اذهب بعيدًا».

تقدّمت أمّي للأمام، بدت عليها علامات الغضب والصّرامة،

صاحت به: «افتح الجسر الآن، اسمح لنا بالدّخول».

بدأت تبكي وهي تفقد رباطة جأشها وتقول: «أرجوك، لا تفعل هذا بنا، لا تفعل هذا بابنتي، عمرها ستّة عشر عامًا فقط، لديها حياةٌ طويلةٌ لتعيشها».

لم يردّوا عليها.

أشارت للرّيف من خلفه وهي تقول: «أرجوك، اسمح لنا بالدّخول، مشينا وسط الدّيدان والجثث الميّتة لمدّة سبعة أيّامٍ، تخيّل لو أنّ أحدكم مكاننا».

صاح بها أحدهم بلهجةٍ متشكّكةٍ: « ولكنّكما مصابتان بالعدوى».

أكملت حديثها: «ألم يبدأ هذا الوباء بسبب جنّتكم في المقام الأوّل، والآن ستتركوننا هنا مغطّيتين بالقذارة وجائعتين؟، فكّر في الأمر لدقيقةٍ فحسب، من الأسهل علينا أن نتقبّل بعضنا البعض وأن ننسى عيوبنا، أليست رغبتنا في الكمال هي أكبر عيبٍ في شخصيّاتنا جميعًا؟، لم نعد نريد النّظر لزهور الخزامى الجميلة الخاصّة بكم ولا نريد زيارةً أعلى طاحونةٍ، كلّ ما عليك فعله هو النّظر إلى ما نتج عن كلّ هذا!».

وضعت يدها على كتفي وهي تقول: «ابنتي غاضبةٌ منّي

ولا تحدّثني منذ أيّامٍ، لكن لا يهمّ، لأنّني أحبّها».

أشارت من ثمّ إلى جثّة العالم وهي تقول: «كان غاضبًا وناقمًا، لكنّني أعرف أنّ كلّ ما أراده هو أن يستريح تحت شجرةٍ، أليس هذا ما نريده جميعًا؟».

ما قالته بعد هذا كان صادمًا.

«أرجوك كن رحيمًا بنا، زوجي، أبيها؛ أتى لدولتكم منذ عشر سنواتٍ، كان يحتضر ويكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة لكنّه أراد رؤية حقول الخزامى قبل موته، كنّا شبابًا، تجوّلنا وسط الحقول لساعاتٍ طويلةٍ، هذا هو ما أردت إخبار ابنتي به، أردتها أن تعرف أنّ أبيها ودّعنا هنا، أردتها أن تفهم الأمر».

ابتلعت ريقها.

«لكنّ الوقت لم يمهله، مات بعد يومين فقط، هذه هي تدابير الحياة، أليس كذلك؟، والآن وجدت نفسي هنا مرّةً أخرى بصحبة ذكرياتي الحزينة وابنتي الغاضبة وعالم ديدانٍ غريبٍ، هل تريد أن تعرف ما هو أجمل شيءٍ رأيته في زيارتي الأخيرة لدولتكم؟»

صمتٌ تامٌ..

«الهندباء».

أمسكت بيدي ورحلنا بعيدًا.

***

بالطّبع كنت أعرف أنّهم حكموا علينا بالموت إن عاجلًا أو آجلًا، قريبًا جدًّا ستلتهمنا الدّيدان، لم يعد هناك مكانٌ لنذهب إليه.

أكملنا تجوّلنا وسط الحقول، بعيدًا عن الجسر، متّجهتين نحو المدينة، لكنّ الأمر لم يكن مؤلمًا أو محزنًا حقًّا، الأهمّ أن نظلّ سويًّا.

كانت طاحونة أمستردام الهوائيّة ضخمةً لدرجة أنّ باستطاعتك رؤيتها من على بعدٍ كبيرٍ، بدا المشهد مختلفًا الآن، بدأت زهور الخزامى تتعفّن وبدأت الجثث في التّحلّل، الدّيدان أصبحت أقوى وأشرس.

لكنّني لم أعد أشعر بالخوف، توفّي أبي حين كنت أبلغ من العمر ستّ سنواتٍ، لم أعرف أنّهم زارا أمستردام سويًّا، أذكر فقط أنّ أمّي لديها العديد من الحكايات عن أبي وأعرف يقينًا أنّها تشعر بالرّاحة حين تقصّ عليهم، أحيانًا نتذكّر العالم ونضحك بحزنٍ ونحن نتذكّر أسلوبه التّقريريّ المملّ.

وفي الغسق كنّا نستطيع رؤية الدّيدان تتقافز عبر الحقول. الآن فهمت لم قال العالم أنّ على سكّان أمستردام مقاومة

هذا الوباء مهما كلّفهم الأمر.

رأينا الصّواريخ الحارقة تطير في الهواء وتنفجر حين تلمس الأرض لتسبّب موجة حرارةٍ حارقةٍ.

لم نستطع الحركة، توقّفنا وبدأنا في مشاهدة الأمر، الفسفور الأبيض يشتعل حين يلامس الهواء، تتصاعد أعمدة الغاز السّامّ من المياه في الخنادق، رائحةٌ كريهةٌ كرائحة الثّوم تملأ المكان بأكمله.

تتلاشى الورود، تتحوّل إلى رمادٍ في صمتٍ، لكنّ الدّيدان كانت مختلفةً، تملأ العالم صراخًا مجنونًا قبل أن تحترق، تشتعل النّيران في أجسادها بالكامل، يتقافزون في رعبٍ في محاولةٍ للهروب من النّيران.

تتقدّم النّيران نحونا بلا هوادةٍ، نتراجع بسرعةٍ، لا شيء يستطيع إيقاف النّيران.

كليك!

أشعر بنقرةٍ خفيفةٍ على وجنتي، شيءٌ ما يحدث في رأسي، شيءٌ ما يتجسّد وسط الجحيم الملتهب، صورةٌ لامرأةٍ ترتدي زيًّا رسميًّا رماديًّا تقف وسط النّيران.

نادتني أمّي بخوفٍ: « تيس! ما الذي يحدث؟».

تمتمت: « جهـ ... جهازي».

تسير المرأة نحوي وهي تبتسم.

تقول أمّي بخوفٍ: « جهازك!، لا، أرجوكي، ابقي هنا معي، ابقي معي».

بدأت المرأة بالتّحدّث معي: «أعزّاءنا السّيّاح زوّار دولة أمستردام، كم عدد التّاجين الذين يتلقّون تلك الرّسالة الآن من وسط النّيران».

لم تكن تتحدّث مع الآخرين، كانت تحدّثني بمفردي أو هكذا شعرت: «نأسف لإبلاغكم بأنّ هناك مخاطر صحّيةً غير متوقّعةً اندلعت في أمستردام، لم نعد قادرين على تزويدك بجودة الضّيافة العالية التي اعتدنا عليها في أمستردام».

همست: «لا».

ارتفعت ألسنة اللّهب من حولنا، سمعت أمّي تصرخ بخوفٍ: «تيس، أرجوكي، ابقي معي».

أكملت المرأة حديثها: «لقد قرّرت السّلطات للأسف إغلاق أمستردام لفترةٍ غير محدّدةٍ من الزّمن، الرّجاء قبول اعتذارنا الصّادق عن أيّ إزعاجٍ قد ينجم عن ذلك، لقد بدأنا الآن عمليّة التّطهير، من المتوقّع حلّ المشكلة في غضون أيّامٍ».

نظرت لي مباشرةً وهي تقول: «آسفةٌ يا تيس، لقد بذلنا كلّ ما في وسعنا لإجلاء الجميع بأمانٍ في الوقت المناسب».

«لا!»

استطعت رؤية أمّي تحترق بين ألسنة اللّهب وهي تحاول أن تقول شيئا، وهي تنظر للسّماء بيأسٍ.

اعتذرت المرأة: «من سوء حظّنا أنّنا لم نتمكّن من إنقاذ الجميع».

«لا، هذا لا يحدث، أمّي!».

«في محاولةٍ لتحسين الأمور، تمّ ضبط جهازك كي لا تشعري بأيّ شيءٍ».

«لا، لا، لا»!

«مرحبًا بك في أمستردام».

كليك!

فجأةً اختفت النّيران تمامًا، اختفت الدّيدان، ذهب الألم وذاب الحزن، شعرت بالبهجة، الهواء رائعٌ والسّماء صافيةٌ، أنا جنّيّة الماء من لعبة المستنقعات، رفرفت بجناحي وبدأت في الطّيران نحو السّحب.

كنت أعرف أنّ الأمر ليس حقيقيًا، كنت أعلم أنّ أمّي تتفحّم بجواري، لكنّ جهازي حجب الأمر عنّي، لكنّني قبل أن أموت رأيت الطّاحونة الهوائيّة تتهدّم.

ورأيت الدّيدان تزحف بسرعة جنونيّةٍ بعيدًا عن النّيران..

وتحديدًا نحو الشّمال.

النّهايـــــــــــة

الحكاية الرابعة: أين باولا

تأليف: كارلا نيجرا سيورانا- من إسبانيا

ترجمة: محمد عصمت

يتساءل الجميع عمّا حدث لباولا سانز تلك الليلة ببرشلونة، حتّى صديقتها المقربة مونيكا غير قادرةٍ علي وصف الشيء الذي أخذها، في كلّ مرةٍ تحاول أن تسترجع تفاصيل الأمر تمنعها نوبة ذعرٍ حادٍّ من إنهاء حديثها، أحيانًا تغرق كلماتها وسط أنهارٍ من البكاء الهيستيريّ، وأحيانًا أخرى تقاطع حديثها ضحكاتٌ صاخبةٌ مليئةٌ بالفزع.

لن يعرف أيّ شخصٍ سواها ماذا رأت تلك الليلة.

عرفت تلك القصة بـ « اختفاء شبح المحطة » أو لنكن أكثر دقةً « لغز مهرجان برشلونة »، حدث الأمر في ليلة الحادي والثلاثين من أكتوبر، بين محطتي توقّفٍ على الخطّ الخامس والمعروف بالمترو، وهما محطتا (سانت بو-دوس دو مايج) و (محطة ساجرادا فاميليا)

في أقلّ من ساعةٍ، سيتحول مصير مراهقين بريئين إلى لغزٍ مرعبٍ، حدث الأمر برمّته منذ عامٍ مضى.

***

انطلق النّداء الآليّ معلنًا: « المحطة التالية هي لا ساجريرا، وهي المحطة التي تربط بين الخطّ الجديد والخطّ العاشر». اختلط صوت عجلات المترو المتحركة فوق القضبان بصوت حوالي عشرين راكبًا يرتدي أغلبهم أقنعةً وزخارف تشير إلى رغبتهم في الاحتفال بالعيد الأنجلوساكسوني الذي حان موعده، أمّا بقية الرّكاب وهم الأقلية فقد شكلوا ثنائياتٍ وبأيديهم عبواتٌ من أبو فروة الطازج الساخن.

رفعت باولا يدها أمام أعين صديقتها التي تجلس بجوارها وهي تقول: « انظري يا فتاة، أنا أرتجف، المسي يدي، إنّي أرتعش كأنني مصابةٌ بمرض باركينسون». تجاهلت مونيكا شكوى صديقتها المتكررة وهي تتساءل: « ماذا تفعل تلك العجوز هناك؟ ... هل ترينها؟». « أنت ... هل سمعتني؟». « أجل، أجل ... أنت متوترةٌ». « إذن افعلي ما يلزم لتهدئتي، افعلي شيئًا». نظرت إليها مونيكا شزرًا وهي تقول: « استرخي قليلًا يا باولا، أنت تتحدثين مع هذا الشخص منذ ستة أشهرٍ، لا يوجد أيّ شيءٍ لتقلقي بشأنه، في الحقيقة، كلاكما يعرف الآخر بشكلٍ جيدٍ». حاولت باولا أن تهدأ قليلًا أمام النافذة الباردة، التي لا ترى من خلفها سوى الظلام الدامس، غير أنّها بدت مترددةً.

« لكنّ الأمر ليس هكذا، أنا لم أره من قبل». ابتسمت مونيكا قائلةً: « ولهذا نحن هنا، أليس كذلك؟». كادت باولا تجيبها لكنّ صافرةً حادةً اندلعت من هاتفها قاطعتها، بمجرد سماعها للصافرة نظرت إلى شاشة هاتفها فورًا.

« إنه هوا». ضحكت مونيكا قائلةً: « أعرف هذا، لقد احمرّ لونك!». « مستحيلٌ!». « ماذا يقول؟». « تسجيلٌ صوتيٌّ». « حسنًا، اضغطي زرّ التشغيل لنستطيع سماعه». « هيا بنا». ضغطت باولا شيئًا في شاشة هاتفها، خرج صوت كارلوس واضحًا من هاتفها:

«باولا، ما الذي يحدث؟ هل أحضرت صديقتك كما أخبرتني؟ نحن في منزلي الآن وكلّ شيءٍ معدٌّ لاستقبالكما، لا ينقصنا ... سواك، متى ستأتين؟». قاطعه صوت رجلٍ آخر يتساءل: « ماذا تفعل أيها الوغد؟». أخبره كارلوس بغضبٍ: « تلك رسالةٌ صوتيةٌ من أجل باولا أيّها الأحمق». تساءل صديقه بفضولٍ: « باولا ... هل صديقتك مثيرةٌ؟». أخيرًا قال كارلوس: « لا تأبهي لشأنه، هو أحمق لكنّه رجلٌ جيدٌ، أنتظر ردّك ... قبلاتي». ابتسمت باولا وهي تنظر لصديقتها وتسألها: « أليس لطيفًا؟». لكنّ مونيكا لم تشاركها حماسها وهي تسألها: « كم عمره يا فتاة؟ صوته يبدو بالغًا!». « وما الفارق؟». قالت مونيكا بغضبٍ: « باولا ... كم عمره؟». «

ثمانية عشر عامًا». انحنت مونيكا للخلف كي تحظي برؤيةٍ أفضل لصديقتها وهي تسألها: « ماذا؟ هل أنت مجنونةٌ؟». في هذه الأثناء انطلق النداء الآليّ معلنًا: « المحطة التالية، كامب دو لاربا». « لماذا برأيك سمح له والداه بإقامة حفل عيد الهلع في بيته إن لم يكن بالغًا؟». « إنه بالغٌ، هذا غير قانونيٍّ، هل يعرف أنك في الرابعة عشرة؟»

شعرت مونيكا بالضّيق، لقد اعتادت على قرارات صديقتها المتهورة، واعتادت أيضًا على ألّا تفكر في الأمور كثيرًا، لكنّ باولا في بعض الأحيان تتمادى كثيرًا وتجرّها جرًّا إلى هذا الأمر.

حاولت باولا أن تهدأ من شأن صديقتها: « أجل يعرف كم أبلغ من العمر، ولا يأبه للأمر، السّنّ هو مجرد رقمٍ، لقد أخبرني كثيرًا أننا ملائمان لبعضنا البعض حين نتحدث». « لا أدري، لكنّ الأمر يخيفني». « استرخي، ثقي بي». « باولا ... نعرف كلانا الآخر و ....». « من فضلك، قلتيها بنفسك، أنا وهو نتحدث منذ وقتٍ طويلٍ، في الحقيقة ... أنا أعرفه جيدًا». حاولت مونيكا التزام الهدوء وهي تقول: « حسنًا، إذن أريني صورته». « لا أملك صورةً له، حتّى صورته الشخصية على الواتس آب يقف أمام الكاميرا بظهره». « على الأقلّ، هل هو وسيمٌ؟». نظرت باولا بعيدًا وهي تقول: « لا أعرف،

الأمر هو ... نحن لم نر بعضنا البعض». « كيف حدث هذا؟ وحساباته على الفيس بوك، الإنستجرام وعلى مواقع أخرى؟ ». « لا يستخدم مواقع التواصل الاجتماعيّ». « باولا ... ألا يبدو الأمر غريبًا بالنسبة لك؟». « يقول إنه لا يحبّها فهي تسرق الكثير من الوقت، إنه محقٌّ». ظهرت الدهشة على صوت مونيكا وهي تقول: « هل تخبرينني أننا سافرنا لمدة ساعتين لبرشلونة وكذبنا على أهلنا لتقابلي شخصًا لا تعرفين شكله؟». « مونيكا، لا تكوني حمقاء، هذا أمرٌ رومانسيٌّ، أحببت هذا الشخص بغضّ النظر عن شكله». هكذا كانت باولا تشقّ طريقها في الحياة، رأسها مليءٌ بالخيالات والقناعات الغريبة.

« اتركي هذا الهراء جانبًا، تلك ليست المشكلة ...». « حسنًا، سأردّ عليه قبل أن تزعجينني أكثر من هذا». أمسكت باولا هاتفها وفتحت شاشته وبدأت في الحديث، بدا أنها تستخدم صوتًا مختلفًا عن صوتها المعهود لمونيكا.

« كارلوس ... شارفنا على الوصول، فقط بقي القليل من المحطات، يجب أن ننزل في محطة ساجرادا فاميليا ... أليس كذلك؟ أرسل لي العنوان بالتفصيل، صديقتي تدعى مونيكا بالمناسبة». نظرت باولا إليها وهي تقول: « قولي مرحبًا، قولي أيّ شيءٍ». همست مونيكا بصوتٍ خافتٍ:

« مستحيلٌ». « حسنًا، سنراكم قريبًا ... قبلاتي». قالت لصديقتها بعد الانتهاء من إرسال الرسالة: « يا لوقاحتك». « يا إلهي، لا تجعليني أتكلم». « ماذا بك ؟!». انطلق النداء الآليّ معلنًا: « المحطة التالية هي سانتبو - دو سدومايج». قالت مونيكا وهي تدفن رأسها بين يديها: « لا أحبّ ما يحدث، سيقتلني والدي». ولمرةٍ أخرى، كانت قد سمحت لباولا أن تتلاعب بها.

حاولت باولا تهدئتها: « مستحيلٌ، لن يعلم بالأمر، قلنا له إننا سنتجه للحديقة العامة ولن يفكر في البحث عنّا الآن». قالت مونيكا بقلقٍ: « لكن إذا تحدث مع والدتك ...». « هل رأيت تلك العجوز؟ ... هل رأيت ماذا تفعل؟». « لا تغيّري الموضوع». أصرّت باولا: « لا، لا، أتحدث بجديةٍ، انظري إليها». أدارت مونيكا رأسها نحو العجوز التي لفتت أنظارها منذ بضعة دقائق، وما رأته كان كافيًا ليشتّتها عن الأمر الذي تتحدث فيه مع باولا.

همست بذهولٍ: « يا إلهي ....». « هل يجب علينا أن نقول أيّ شيءٍ؟». شابٌ في الثلاثينيات من عمره انحنى على العجوز قبل أن تجيب مونيكا سؤال صديقتها وهو يسألها: « سيدتي ... هل أنت بخيرٍ؟». بدأت العجوز بالصراخ: « اتركني اذهب، لا تلمسني». بدأت راكبةٌ أخرى في الصراخ بالشاب

بعد أن سمعت شكوى العجوز صارخةً: « أنت، ماذا تفعل؟». « لم ألمسها، أقسم لكم». أصرّت باولا على موقفها وهي تقول لمونيكا: « هيّا، قولي أيّ شيءٍ، أخبريها أن تتوقف». « لماذا أنا؟». «سأخبرها أنا إن أردت، لكن علينا أن نفعل شيئًا، أليس كذلك؟». قالت مونيكا وهي غير مكترثةٍ: « هذا الأمر لا يعنينا». « لكن ... انظري إليها ... إنها مريضةٌ، يبدو أنها هاربةٌ من أحد دور المسنين أو شيءٍ من هذا القبيل». « توقفي عن النظر إليها». شعرت باولا بالصدمة وهي تتابع كلّ حركةٍ تقوم بها المرأة العجوز وهي تقول: « لا أستطيع ... لا أستطيع التوقف عن النظر إليها». انطلق النداء الآليّ معلنًا: « المحطة التالية، ساجرادا فاميليا». سألت باولا: « علام تتطلع خارج النافذة طوال كلّ هذا الوقت؟». « قلتيها بنفسك، تبدو مريضةً، من يعرف؟». « يا لها من عجوزٍ غريبة الأطوار». قالت مونيكا بإصرارٍ: « فقط تجاهليها، لا تنظري إليها». صرخت العجوز فجأةً وهي غافلةٌ عن كلّ الأعين التي تتابعها: « محطتي، ستفوتني محطتي». وعلى الرغم من أنّ أغلبية الركاب تظاهرت بالنظر بعيدًا، لكنّهم جميعًا كانوا قد تخلّوا عن متابعة هواتفهم وانشغلوا بمراقبة العجوز الغريبة

صرخ أحد الركاب: « سيدتي، لا تفعلي هذا». لكنّه كان متأخرًا، فجأةً ... صدر صوت انزلاقٍ معدنيٍّ مزعجٍ وبدأت سرعة القطار في الانخفاض، ثمّ توقف المترو خلال ثوانٍ

قليلةٍ، بدأ الركاب في الشكوى في جميع أنحاء القطار وكلّ الأعين موجهةٌ صوب العجوز.

قالت باولا بغضبٍ: « ماذا فعلت تلك العجوز، يبدو أنّ القطار توقف بسببها». قالت مونيكا وهي تشعر بالغضب بدورها: « لقد جذبت المجنونة ذراع الطوارئ». « والآن ماذا سنفعل؟ اللعنة ... كنّا على وشك الوصول للمحطة التالية بالفعل». صرخت العجوز: « افتحوا الباب». بدأت تصرخ بصوتٍ عالٍ وهي تقول: « يجب أن أنزل، تلك محطتي». حاول أحدهم أن يهدئ من روعها قليلًا: « سيدتي، تلك ليست محطةً، أرجوك استرخي قليلًا». لكنّ هذا تسبب في صراخ العجوز بهيستيريا: « اتركوني أنزل يا أولاد العاهرة». احتجّ أحد الركاب قائلًا: « لماذا يتظاهر الجميع أنّ كلّ شيءٍ على ما يرام، ألن ينطقها أحدكم؟». تبادل الجميع النظرات، ثمّ خيم الصمت عليهم، لكنّ الصمت لم يدم طويلًا، فقد سألت فتاةٌ صغيرةٌ أمّها ببراءةٍ شديدةٍ: « أمّي، لماذا تلك العجوز الغاضبة عاريةٌ؟». همست مونيكا لباولا: « ها نحن الآن، أخيرًا نطقها أحدهم». كانت ملابس العجوز مبعثرةً على الأرض حول أقدامها، بدأ الأمر حين خلعت شالها وانتهى بخلعها لجوربها، مرورًا بملابسها الداخلية، كلّ شيءٍ ملقًى أرضًا بإهمالٍ، على شكل دائرةٍ تفصلها عن باقي الركاب، تقف عاريةً وسطهم بجلدها المجعد الشاحب المائل للون الرماديّ.

قالت إحدى الراكبات: « سيدتي، أرجوك، عليك أن ترتدي ملابسك». لكنّ العجوز بدت كما لو أنها لا تسمع أيّ شيءٍ ممّا يدور حولها، كانت تلكم الباب الزجاجيّ وهي تصرخ: « افتحوا». بدأت الأضواء ترتعش داخل عربة القطار قبل أن تنطفئ ويسيطر الظلام، تزامن الأمر مع تزايد الصراخ الهيستيريّ للعجوز، واختلطا بشكاوى الركاب الآخرين.

سألت باولا صديقتها: « أين أنت؟، لا أستطيع أن أراك». « أجلس بجوارك، أين سأذهب؟». « حسنًا، لا تغادري، الأمر بأكمله يخيفني». ضحكت مونيكا قائلةً: « لا يوجد شيءٌ لتقلقي بشأنه، لكن علينا ألّا نستقلّ المترو مرةً أخرى». بعد قليلٍ انطلق النداء الآليّ قائلًا: « سيداتي سادتي، من فضلكم أنصتوا، نعاني من بعض المشاكل التقنية في القطار ونعمل على حلّها خلال دقائق، آسفٌ على الإزعاج». صرخت امرأةٌ غاضبةٌ من مكانٍ ما: « فقط أنر المكان اللعين أيها الوغد». تدخّل أحدهم في النقاش قائلًا: « الأمر برمته غلطة العجوز». صوتٌ غريبٌ جذب انتباه الجميع، لقد فتحت الأبواب بدون أيّ إنذارٍ، لوهلةٍ ما، لم يقل أحدهم شيئًا، لماذا فتحت أبواب القطار في منتصف اللامكان.

صرخ أحد الركاب: « سيدتي،لا!، لا شيء هنا، من فضلك لا تنزلي، سيدتي!». لكنّ الجميع سمع صوت أقدام العجوز وهي

تتحرك بعيدًا إلى أن اختفت

ضحك أحد الركاب قائلًا: « وها هي ترحل ...». « اللعنة عليها». سألت باولا: « أين نحن؟». « باولا، بحقّك ... كيف سأعرف، لا تسأليني عن أيّ شيءٍ». « أيتها الغبية، أنا أفكر بصوتٍ عالٍ فقط، لا أسألك عن شيءٍ». « سيطري على نفسك قليلًا، أنا لا أحبّ ما يحدث». حركت باولا يدها تجاه جسد صديقتها وهي تقول: « أنا لا أستطيع رؤية أيّ شيءٍ». كانت تحاول التأكد من أنها بجوارها لكنّها لاحظت أنها تقف، قالت مونيكا: « سأذهب إلى الباب المفتوح لأرى ما سأستطيع رؤيته، لا أستطيع رؤية ما يحدث عبر النافذة». قالت باولا بإحباطٍ: « لا، أرجوك، لا تتركيني هنا وحيدةً». « لا تقلقي، سأعود فورًا، لا تتحركي». « مونيكا ...». « دقيقةٌ واحدةٌ فقط». « أسرعي». « حسنًا». جلست باولا تنصت لصوت خطوات أقدام مونيكا وهي تتحرك للجهة الأخرى من العربة، حاولت التماسك، لكنّها لا تستطيع احتمال الظلام، وبالإضافة لهذا، كونها بعيدةً جدًا عن المنزل، لم يساعدها على تحمّل الأمر.

قالت بصوتٍ خافتٍ وهي تتحدث إلى نفسها: « عظيمٌ، حسنًا ... عليّ أن أخبره». أخرجت هاتفها وبدأت تسجل رسالتها:

(كارلوس ...لقد توقفنا قبل محطة ساجرادا فاميليا بقليلٍ، لا أعرف كم سنعلق هنا أو متى سنتحرك، لكن ...)

قاطعها صوت فتًى ما: « مرحبًا». « اللعنة، أخفتني للغاية، مرحبًا». بدا الفتى خائفًا وهو يقول: « أنت لست أمّي، أمّي ... أين أنت؟». عادت باولا مرةً أخرى للتحدث إلى كارلوس:

(آسفةٌ يا كارلوس، الظلام يسيطر على كلّ شيءٍ ويبدو أنّ هذا الفتى تائهٌ، هل باستطاعتك سماعه؟)

سألها الفتى مرةً أخرى بخوفٍ: « أين أمّي». اعتذرت للفتى سريعًا: « دقيقةٌ فقط يا صغيري وسأساعدك أن تجدها». عادت للحديث مع كارلوس:

(على أية حالٍ، سنتأخر قليلًا، قبلاتي)

وضعت باولا هاتفها في حقيبتها، حاولت أن تنظر للفتى عبر الظلام، لكنّ المكان كان مظلمًا للغاية.

سألت: « مرحبًا؟، هل ما زلت هنا؟». « أجل، أنا لا أعرف أين أنا؟». « حسنًا، لا تقلق، سنظلّ سويًا إلى أن يعود الضوء، ومن ثمّ سنبحث عن أمّك، نحن في عربة قطارٍ ولن تبتعد عنّا، لا تقلق». سأل بقلقٍ: « حسنًا، هل باستطاعتي الجلوس هنا؟». « هذا مكان صديقتي لكن باستطاعتك الجلوس إلى أن تعود». لاحظت باولا أنها فقدت صديقتها، عربة القطار بها الكثير من

الأصوات ولم تستطع تتبع أصوات خطواتها

قال الفتى بصوتٍ خائفٍ: « شكرًا». حاولت باولا أن تبدو ودودةً وهي تسأله: « ما اسم أمّك؟». وكردٍّ على سؤالها انهمرت دموع الصبيّ.

حاولت أن تهدئ من روعه: « لا تقلق يا صغيري، سنجدها، أعدك». قال بصوتٍ مرتعشٍ: « أنا خائفٌ». « لماذا، لا يوجد ما تخاف بشأنه، فقط بعض الأضواء قد انطفأت ...». « أنت أيضًا خائفةٌ؟». « أنا؟ مستحيلٌ، أنا فتاةٌ كبيرةٌ والفتيات الكبيرة لا يخفن». « ما اسمك؟». « باولا». « باولا ماذا؟». « باولا سانز وأنت؟». « لماذا أنت هنا؟». « ماذا؟». « لماذا أتيت إلى هنا؟». « حسنًا ... بعض أصدقائي يقيمون حفلةً لعيد الهلع في منزل أحدهم وقد وجهوا لي دعوةً». « لا أحبّ عيد الهلع، إنه يخيفني». كانت أنفاس الفتى باردةً لدرجة أنّ باولا شعرت بها على وجنتيها

سألته باولا: « لا تحبّ عيد الهلع؟ ماذا عن مهرجان الكستناء؟، هل تحبّ أكل الكستناء؟». « لا». « إذن ماذا تحبّ؟ الكريسماس؟». « لا أحبّ الكريسماس». « كيف يعقل؟ لماذا؟ هل تحتفل بعيد الهونكا؟». « لماذا أتيت إلى هنا؟». « لقد أخبرتك من قبل». « لا!، لماذا أتيت إلى هنا، أنا لا أحبّ عيد الهلع». كان الفتى يبدو وكأنّه يفقد رباطة جأشه،

حاولت باولا تهدئته: « اهدأ». فجأةً صرخ الفتى: « علينا أن ننزل هنا، تلك هي محطتي». « لا، تلك ليست محطةً، المترو توقف فقط بسبب العجوز التي جذبت ذراع الطوارئ وعلينا أن ننتظر قليلًا، أنا متأكدةٌ أننا سنجد أمّك قريبًا». « لماذا أتيت إلى هنا يا باولا؟». « إلى أين؟». قبل أن يجيبها الفتى قاطعهما صوت مونيكا تقول: « باولا، لقد عدت». « لا تجلسي، هناك صبيٌّ يجلس في مقعدك». « ماذا؟». في تلك اللحظة عادت الأضواء مرةً أخرى

ابتسمت مونيكا وهي تقول: « أخيرًا، باولا ... لا أحد يجلس في مقعدي». قبل أن تجادلها باولا نظرت إلى المقعد كي تتأكد أنّ المقعد فارغٌ بالفعل، قالت بخوفٍ: « و ... والولد؟». « أيّ ولدٍ، عمّن تتحدثين؟ سأجلس على أيّ حالٍ». قالت باولا بيأسٍ: « مونيكا، أقسم لك، كان هنا فتًى تائهٌ». وقفت مونيكا وهي تقول: « انتظري، سأنظر حولنا». « أين ستذهبين؟». « لن أذهب لأيّ مكانٍ، أنا فقط أنظر،لا، باولا ... لا وجود لأيةٍ فتيةٍ في تلك العربة، انظري؟». قالت باولا واليأس يبدو جليًا في صوتها: « يبدو أنه نزل أو ... لا أعرف، أقسم لك أنه كان خائفًا ويبحث عن أمّه، حسنًا ... استمعي لتلك الرسالة الصوتية التي أرسلتها لكارلوس لقد تحدثنا خلالها وستجدين صوته». التقطت هاتفها وضغطت على الرسالة التي أرسلتها لكارلوس:

(كارلوس ...لقد توقفنا قبل محطة ساجرادا فاميليا بقليلٍ، لا أعرف كم سنعلق هنا أو متى سنتحرك، لكن ...)

« اللعنة، أخفتني للغاية، مرحبًا». (آسفةٌ يا كارلوس، الظلام يسيطر على كلّ شيءٍ ويبدو أنّ هذا الفتى تائهٌ، هل باستطاعتك سماعه؟)

« دقيقةٌ فقط يا صغيري وسأساعدك أن تجدها». (على أية حالٍ، سنتأخر قليلًا، قبلاتي)

جلست باولا مشدوهةً وهي تحدق في شاشة هاتفها، لم تستطع التحدث أو النظر بعيدًا، بينما جلست مونيكا بجوارها تنظر لها بقلقٍ، الرسالة الصوتية كانت كما سجلتها باولا، لكنّ صوت الفتى لم يكن موجودًا، فقط صوتها بمفردها، حاولت باولا التذمّر: « لا يمكـ ...». « الصوت الوحيد كان صوتك تتحدثين إلى نفسك يا باولا، هل أنت بخيرٍ؟». صرخت بصوتٍ يتأرجح بين الغضب والخوف: « أجل، أجل، أعلم ما سمعت». « أنت تخيفينني». تحوّل صوتها إلى نواحٍ خافتٍ وهي تقول:» كفاك خوفًا، هيّا أيها القطار اللعين تحرك، أريد الخروج من هنا». بدأت مونيكا بالشرح: « هناك محطةٌ قادمةٌ، إذا أردت فالكثير سيترجلون». « عمّ تتحدثين؟ أيّ محطةٍ؟ لا شيء بالخارج». « بل هناك واحدةٌ، لقد رأيتها، هناك لافتةٌ معلقةٌ مكتوبٌ عليها (محطة جاودي) لقد كانت

العجوز محققةً». « لكنّ محطتنا هي القادمة». سمعت باولا همسًا يدور بين العديد من الركاب، إنهم حائرون بين النزول في تلك المحطة أو الانتظار، ويبدو أنّ خيار النزول هو المنتصر، صرخت إحدى الراكبات: « لن أنتظر أكثر من هذا، سأنزل هنا». انضمّ إليها راكبٌ آخر: « وأنا أيضًا». أمسكت مونيكا يد باولا وهي تقول: « هل رأيت، باقي الركاب ينزلون، هيّا بنا». « لكن علينا أن نعرف أين نحن، لا نريد أن نتوه». « لهذا صنعوا خرائط جوجل». بدأ الركاب في النزول بعضهم يتبع بعضًا، بدأت العربة في الوقوع فريسةً للصمت

« باولا، أرجوك أسرعي، الجميع ينزلون». « قلت لا!». كان آخر الهابطين رجلًا عجوزًا يمسك بيده علبةً ورقيةً بها كستناء

« عظيمٌ، لم يظلّ سوانا، هل هذا هو ما تريدين؟». « لا أهتمّ». « باولا، هيا بنا، الجميع ينزلون هنا لسببٍ، لن نكون كالسياح الأغبياء الذين يخالفون الجميع ويصنعون الفوضى». وصل إلى مسامعهما صوت ضربةٍ معدنيةٍ قويةٍ، صاحت باولا متسائلةً: « ما هذا؟». « لا أعرف». « أريد الذّهاب ... أريد الذّهاب للمنزل». « باولا، اللعنة عليك، أنا هنا بسببك». « اخرسي، اللعنة على الإنترنت وعلى تطبيقاته اللعينة ... إذا لم أقابل كارلوس ...». « بحقّك، لا تقومي بتلك

قالت مونيكا: « هل ترينها الآن؟ مكتوبٌ عليها محطة جاودي». حاولت باولا قراءتها بشغفٍ لكنّ نظرها الضعيف جعل الأمر صعبًا

« أنت محققةٌ». « أخبرتك». صوت صفارة وصول رسالةٍ جديدةٍ قاطعهما، قالت باولا مبتهجةً: « انظري، لقد قام كارلوس بالردّ على رسالتي». « ماذا قال؟». « انتظري، سأقوم بتشغيلها». أتاهما صوت كارلوس عبر الهاتف:

(أجل، المترو سيءٌ للغاية، لا تقلقي، هذا يحدث طوال الوقت، فقط أخبريني حين يتحرك، سأنتظرك في المحطة إن أردت لا أريدك أن تتوهي، قبلاتي)

سألت باولا حين انتهاء التسجيل: « يبدو غريبًا، أليس كذلك؟». « يبدو أنه صدم بطفلك الخياليّ التائه». « كفاك عبثًا معي، أقسم لك أنه كان موجودًا». « بالطبع، هيّا اتبعيني، سنخرج من هنا». بدأت مونيكا بالمشي تجاه نهاية المحطة، رفعت باولا الهاتف قرب فمها لتقوم بالردّ على كارلوس:

(الأمر مقرفٌ، لقد نزلنا من القطار لأنه لم يتحرك، نحن في محطةٍ تدعى جاودي، هل تعرفها؟، نحاول إيجاد مخرجٍ، هل تعرف كم تبعد تلك المحطة عن منزلك، قبلاتي)

بمجرد أن انتهت، وضعت هاتفها في حقيبتها، ابتسمت

مونيكا وهي تسألها: « لماذا تقولين قبلاتي في نهاية كلّ رسالةٍ صوتيةٍ؟». « لا أعلم، هو يقولها وأنا قلتها أيضًا». ابتسمت مونيكا مرةً أخرى، كان لطيفًا أن ترى صديقتها واقعةً في حبّ شخصٍ ما، سألتها مونيكا وهي تغيّر الموضوع: « هل تعتقدين أننا سنجد شخصًا ما هناك؟». « انتظري، لا تسرعي الخطى، لا أستطيع رؤيتك». الصمت يسيطر على المحطة بأكملها باستثناء صوتٍ غريبٍ، فجأةً أطلقت مونيكا صرخةً هيستيريةً، كاد قلب باولا يتوقف وهي تسأل: « ما الأمر يا مونيكا؟». صاحت مونيكا: « يا للقرف، هناك شيءٌ ما جرى فوق قدمي، أظنّه فأرًا ... فأرًا». « اللعنة، أخفتني». « هل تظنين أنني أبالغ؟». « لا يوجد باب خروجٍ هنا يا مونيكا». كانت قد توقفت عن النقاش مع صديقتها، كلّ ما تريده فقط هو الخروج من هنا، الخروج من تلك المحطة الباردة المظلمة التي تثير خوفها

قالت مونيكا باستياءٍ: « حسنًا، هيّا نبحث الجهة الأخرى». « علينا أن نعود إلى العربة». « مستحيلٌ، لقد ابتعدنا عنها ولن نعود إليها مرةً أخرى، إذا كان الآخرون قد وجدوا بابًا للخروج فسنجده بدورنا». « مونيكا ... على الأرجح هم من سكان برشلونة ويعرفون أين نحن، نحن سائحتان تائهتان في محطةٍ فارغةٍ مظلمةٍ، كيف سنجد باب الخروج؟، علينا أن نستمع لكارلوس، في النهاية سيتحرك المترو وسيتوقف

في محطتنا، ساجرادا فاميليا هي المحطة التالية». « حسنًا، لكن الآن المترو لا يتحرك، على الأقلّ سننظر في الجهة الأخرى لنرى إذا كان الباب هناك، وإن لم يكن هناك سنعود، لن نخسر أيّ شيءٍ». قالت باولا شاكيةً: « لماذا عليك أن تكوني الحاكمة الآمرة؟». « يبدو أنّ عليّ أن أذكرك أنك السبب في وجودنا هنا». « حسنًا، حسنًا، يا لك من مزعجةٍ». « اتبعيني». « حسنًا». مشت مونيكا أمامها بسرعةٍ كبيرةٍ، حاولت باولا اللحاق بها إلّا أنّها لم تستطع، قالت: « انتظري، لا أستطيع رؤيتك، أعطني يدك». « هيّا بنا». مدت باولا يدها لتمسك يد صديقتها قبل أن تقول: « يا للقرف، مونيكا ... يدك رطبةٌ». « ماذا؟». « يدك مليئةٌ بالعرق». « عمّ تتحدثين؟». « أشعر بعرقك فقط، ليس عليك الاستياء بشأن هذا». « باولا ... أنا لا أمسك بيدك». توقفت باولا فجأةً وهي تسأل في ذعرٍ: « ماذا؟». وعلى الفور تركت ما تمسكه بيدها وهذه المرة كانت باولا هي من صرخت بفزعٍ، قالت باولا خائفةً: « أرجوك، لا تخيفيني بهذه الطريقة». « أقسم لك أنّ يديّ في جيوبي بسبب البرد». إذا لم تكن تلك يدي مونيكا، إذن كانت تلك يد من؟ ماذا كان الشيء الذي لمسته؟ شعرت باولا بالدم يتجمد في عروقها وهي ترتعد، تحولت شفتاها للون الأزرق، هذا يحدث دومًا حين تشعر بالخوف، حاولت أن تقنع نفسها بالعكس لكنّها كانت متيقنةً أنّ ما أمسكته وبدون أيّ شكٍّ،

كان يدًا رطبةً

قالت باولا وهي تقاوم خوفها: « أرجوك، هيّا نخرج من هنا». بدا القلق على صوت مونيكا وهي تقول: « كيف؟». « سأعود للعربة». قالت مونيكا: « لنعد للعربة ولتعلمي أنّ قدومنا إلى هنا لمقابلة شخصٍ ما تعرّفت عليه عبر الإنترنت لم يكن فكرةً جيدةً». « مونيكا، اجري». جرت كلتاهما تجاه المكان التي كانت تقف به العربة، وعلى الرغم من صعوبة الأمر كانت مونيكا أول من أدرك: « يبدو أنّ أضواء العربة انطفأت لأنّ الرؤية أصبحت صعبةً للغاية، أنا بالكاد أراها، ماذا عنك؟». « فقط اجري، علينا أن نصل إليها». لكن بمجرد وصولهما إليها أدركتا أنّ من المستحيل الدخول إليها، قالت باولا بقلقٍ: « الأبواب؟». بدأت كلتاهما تتحسس العربة المغلقة قبل أن تقول مونيكا: « يبدو أنّ الأبواب كلّها مغلقةٌ». « لا تعبثي معي». « لا أعبث معك، الأبواب مغلقةٌ، ماذا تريدين منّي أن أخبرك؟». « لا، لا، لا، لا، ماذا سنفعل الآن؟». « علينا أن نستمرّ في البحث عن مخرجٍ». قالت باولا وهي على مشارف البكاء: « لا أستطيع يا مونيكا، لم أعد أقوى على الأمر». « بحقّك، ليس هناك شيءٌ لنقلق بشأنه، تلك قصةٌ سنضحك حين نخبرها للآخرين، إنها مغامرةٌ نخوضها». لكنّها لم تكن مقتنعةً بما تقول، كانت فقط تحاول تهدئة باولا فحسب، وعلى الأرجح تحاول تهدئة نفسها أيضًا

« مغامرةٌ؟، نحن بمفردنا هنا، نحاول سبر أغوار مترو برشلونة وهناك شيءٌ غريبٌ يحدث». قالت مونيكا مازحةً وهي تحاول أن تضحك: « ربما يحدث هذا فقط بسبب عيد الهلع». « توقفي عن المزاح اللعين». جلست باولا على أرضية المحطة الباردة وهي تحاول منع دموعها التي تكاد تغادر عينيها، قالت مونيكا معتذرةً: « أنا آسفةٌ لكنّ شيئًا غريبًا يحدث هنا، أشعر بهذا أيضًا، لكنّي أحاول ... لا أعرف ... أن أهدئ من روعنا». لم تعد باولا قادرةً على السيطرة على مشاعرها، قالت من بين دموعها المنهمرة: « أنا آسفةٌ، كلّ هذا يحدث بسببي». « هيّا بنا نذهب يا صديقتي، البكاء لن يجدي نفعًا، هيّا نذهب لنستمرّ في البحث، أشعلي كشّاف هاتفك». وقفت باولا ببطءٍ وهي تحاول استعادة السيطرة على نفسها: « هل نستطيع استخدام كشّاف هاتفك؟ هاتفي على وشك الموت». « اللعنة، هاتفي أيضًا على وشك الموت». « أنا فقط أحاول الحفاظ على وسيلة تواصلٍ مع كارلوس». تنهدت مونيكا وهي تقول: « بحقّك». أشعلت كشّاف هاتفها، شكرتها باولا بابتسامةٍ رغم أنّ عينيها كانتا مليئتين بالهلع لكنّها حاولت أن تستعيد قوتها مرةً أخرى وهي تقول: « يا للقرف، هذا المكان مهملٌ جدًّا». « أخبرتك أنّ هناك فئرانًا هنا». « وتلك الرائحة؟». « لا أعلم، هيّا بنا». كان مدى كشّاف هاتفها ضعيفًا لذلك أنصتتا السمع، محاولتان اكتشاف أيّ شيءٍ

يساعدهما على الرحيل من هنا، لكنّ الأمر لم يحقق نجاحًا كبيرًا

قالت باولا: « الرياح، هل تسمعينها؟ من أين تأتي؟ ... لكننا تحت الأرض!». « لا أعلم، فقط تجاهليها، إنه نسيمٌ ضئيلٌ على أيّ حالٍ». « الأمر غريبٌ، أشعر بشعورٍ غريبٍ، كأنّ هذا المكان معدٌّ لتصوير فيلم رعبٍ». « توقفي باولا وساعديني قليلًا،اللعنة، بدأت بزرع أفكارٍ مخيفةٍ في رأسي، توقفي عن الكلام وابحثي عن مخرجٍ». خفضت باولا رأسها واستمرت في المشي قبل أن تسأل: « كنّا هنا من قبل، أليس كذلك؟». « لا أعلم، لكنّ المكان ليس ضخمًا، تلك محطة قطارٍ لعينةٌ، لنبدأ من هنا ونمشي بشكلٍ دائريٍّ». « وإذا لم نجده؟ نحن لا نستطيع العودة للعربة مرةً أخرى، علينا الاتصال بالشرطة قبل فوات الأوان». « إذا أخبرنا أيّ شخصٍ سيكتشف أهلنا أننا هنا». في تلك اللحظة كان هذا آخر ما توصلت إليه باولا، سألتها: « وماذا تفضلين؟، أن يكتشفوا كذبتنا أم أن يجدوا جثثنا؟». « كفّي عن هذا، عمّ تتحدثين، أنت تشاهدين الكثير من الأفلام». تردد صدى ضحكةٍ خافتةٍ من حولهما، ارتعدتا قبل أن تقول مونيكا: « اللعنة». قالت باولا بصوتٍ مرتعدٍ: « سمعت الصوت بدورك؟ ... أليس كذلك؟». سألت مونيكا بفزعٍ: « ما هذا؟». قالت باولا بخوفٍ: « لقد أخبرتك من قبل، هذا الصبيّ». « هذا لم يكن الصبيّ». « إذًا ماذا كان هذا؟». «

لا أعرف ... لا أعرف». أمسكت كلٌّ منهما يد الأخرى وتراجعتا للخلف، بذلت باولا مجهودًا خرافيًا للسيطرة على مشاعرها وهي تحاول ألّا تقع فريسةً للانهيار والبكاء مرةً أخرى

قاطعهما صوتٌ ذكوريٌّ: « باولا؟». سألت مونيكا بقلقٍ: « ما هذا؟». لم تستطع تحديد مصدر الصوت في الظلام، أجابها وهو يلمس كتف باولا قائلًا: « خلفكما». استدارت كلتاهما سريعًا وهما لا تعرفان ماذا ينتظرهما، صاحت باولا حين رأته: « انظري هناك». كان يقف خلفهما شابٌ طويلٌ ورغم الظلام الدامس إلّا أنّ ملامح وجهه كانت واضحةً للغاية، قال: « لقد أتيت لأقابلك، قلت إنك في محطة جاودي، هل تتذكرين؟، في الرسالة الصوتية». شعرت باولا بارتياحٍ وهي تقول: « كارلوس!، عظيمٌ». سألته مونيكا بقلقٍ: « لقد أتيت سريعًا، من أين أتيت؟». قاطعتها باولا قائلةً: « أنا سعيدةٌ للغاية برؤيتك». ابتسم الفتى بلطفٍ وهو يقول: « أنا أسعد لأنني رأيتك أخيرًا». تردد للحظةٍ قبل أن يحسم أمره وهو ينحني ليقبّلها على وجنتيها برفقٍ، قالت مونيكا وهي تشعر بالارتياح قليلًا: « هل تعرف كيف سنخرج من هنا؟». ضحك كارلوس قائلًا: « عبر نفس الطريق التي أتيت بها، تلك المحطة صغيرةٌ للغاية وأعرفها جيدًا». تنهدت باولا بارتياحٍ وهي تقول: « حسنًا». همست مونيكا لصديقتها سرًّا: « يبدو وسيمًا رغم الظلام». « اصمتي». بدا كارلوس مرتبكًا

وهو يسألهما: « ماذا؟». قالت باولا بارتباكٍ: « لا شيء، تلك مونيكا، صديقتي». ابتسم وهو يقول: « تشرفت بمعرفتك». استمرت باولا في طمأنة نفسها قائلةً: « يا له من شعورٍ رائعٍ، لقد اعتقدت أننا لن نخرج من هنا أبدًا». ضحك كارلوس وهو لا يفهم ما يحدث قبل أن يقول: « أنت تبالغين». في تلك اللحظة رنّ هاتف باولا معلنًا عن وصول رسالةٍ جديدةٍ عبر تطبيق الواتس آب، قالت باولا بحماسٍ: « انظر، لقد وصلتني رسالةٌ صوتيةٌ منك». « لقد أرسلتها منذ حينٍ، كنت أسألك عن موقعك، لكنّ التغطية هنا سيئةٌ، لحسن الحظّ أنني استطعت الوصول إليك». قالت مونيكا وهي متعجلةٌ الرحيل: « حسنًا،هلّا ذهبنا؟». « بالتأكيد،هيّا بنا من هنا». تحرك كارلوس بهدوءٍ كي تتمكن الفتاتان من تتبعه، استغلت مونيكا الفرصة لتهمس لصديقتها بصوتٍ خافتٍ: « هل تشعرين بالارتياح الآن؟». « حمدًا لله، كنت محقةً، حين نقصّ تلك القصة لاحقًا سنضحك». سألتها مونيكا همسًا: « وماذا عن كارلوس؟، هل أعجبك؟». عبست باولا وهي تقول: « أرجو ألّا تسأليني مثل تلك الأسئلة أمامه». « لا يستطيع سماعنا». « توقفي». « بحقّك»

أبطأت باولا حركتها كي تبتعد عن كارلوس قليلًا، لم ترد له أن يسمع إجابتها على الرغم من أنها شبه متيقنةٍ أنه لم يسمع السؤال، أبطأت مونيكا حركتها بدورها كي تتماشى مع سرعة

صديقتها، أخيرًا أجابتها باولا: « أجل، يا لك من مزعجةٍ، هو وسيمٌ للغاية على الرغم من أنني لم أره بشكلٍ كافٍ بسبب انخفاض الإضاءة». همست مونيكا: « لكنّ رائحته تبدو غريبةً بعض الشيء، أليس كذلك؟». « رائحة كارلوس؟، مستحيلٌ». « ألم تلاحظي الأمر؟». استمرّ كارلوس في المشي بخطًى سريعةٍ، لم يقف ليتأكد حتّى أنّ الفتاتين تتبعانه، بدأت مونيكا تشعر أنها لا تراه، حاولت الإسراع قليلًا آملةً أنّ باولا ستتبعها بدورها.

« رائحة تلك المحطة شنيعةٌ، ليس كارلوس هو مصدر الرائحة يا فتاة». أسرعت باولا الخطى بدورها، كانتا على بعد ثلاثة أو أربعة أمتارٍ خلف الفتى، رفعت مونيكا كتفيها وهي تقول: « يبدو أنها رائحته ...». لاحظت باولا أنّ كارلوس مستمرٌّ في المشي على حافة رصيف المحطة وهذا بكلّ تأكيدٍ لن يقودهم إلى أيّ مخرجٍ، صاحت به: « كارلوس!، أين نذهب؟، المكان هنا مظلمٌ للغاية». صاحت مونيكا وهي توافق صديقتها: « ماذا تريد منّا؟، هل تريد أن نهبط على قضيب القطار ونمشي عبر النفق وصولًا للمحطة السابقة ؟، أليس علينا الصعود للأعلى للخروج من هنا؟». لكنّ كارلوس لم يجب أيّهما، لم يلتفت حتّى ليواجههما، استمرّ بالمشي فحسب

صاحت باولا: « كارلوس، مرحبًا، هل تستطيع سماعنا؟». « أبطئ قليلًا». لكنّ كارلوس كان يسرع الخطى أكثر فأكثر لدرجة أنهما بدأتا في الجري لتستطيعا اللحاق به.

توهمت باولا أنها سمعت اسمها فتساءلت: « كارلوس؟، هل قلت شيئًا؟». رفعت مونيكا صوتها صائحةً: « التفت لنا يا رجل، لا نستطيع سماعك!». بدأ هاتف باولا في الاهتزاز، اضطرت للوقوف للحظاتٍ لتخرجه من جيبها، قالت مونيكا: « باولا، هاتفك ....». قالت باولا: « أجل، أجل، أسمعه ...». لكن بمجرد أن نظرت إلى شاشة هاتفها توقفت تمامًا عاجزةً عن إنهاء جملتها، عندما لاحظت مونيكا ردّ فعلها توقفت بجوارها فورًا وهي تسألها: « باولا؟، ما الأمر؟، من المتصل؟». رفعت باولا رأسها وهي شاحبةٌ وترتعد خوفًا قائلةً: « كارلوس». « ماذا تقصدين بكارلوس؟، لم سيتصل بك وهو أمامنا؟». وفورًا توجهت أنظارهما صوب الفتى الذي من المفترض أنه يقودهما للمخرج، لكنه لم يكن يمسك بيده هاتف محمولٍ ولا يبدو كمن يتصل بأيّ شخصٍ، فيداه تتحركان بحريةٍ بجوار جسده.

قبل أن تجيب باولا صديقتها قررت أن تجيب هاتفها: « مرحبًا؟». وعلى الفور ميزت صوت كارلوس وهو يقول: « باولا، لماذا لا تردين على رسائلي؟، هل استمعت إلى الرسالة

الصوتية التي أرسلتها لك؟». أجابته باولا: « لا أفهم أيّ شيءٍ». بدأت تتحرك مع صديقتها كيلا تفقدا الفتى الذي يمشي أمامهما، سألها كارلوس: « هل ما زلت مع صديقتك في محطة جاودي؟». « كارلوس، هل هذا أنت؟، أين أنت؟». « باولا، اسمعيني جيدًا، يجب عليك أن تخرجي من هنا، محطة جاودي ليست محطةً، أقصد أنها تقنيًا محطةٌ بالفعل، لكنّ المترو لا يتوقف بها أبدًا، منذ تمّ بناؤها لم تستخدم، نطلق عليها المحطة الشبح، هل تسمعينني؟». كانت باولا عاجزةً عن الردّ

سألتها مونيكا وهي تشعر بالخوف: « ما الأمر؟، ماذا قال لك؟». لكنّ باولا لم تجبها، كانت تحاول فهم ما أخبرها به كارلوس للتوّ، حاولت أن تفهم الأمر لكنه بدا غير معقولٍ

استمرّ كارلوس في الحديث: « أنا شخصٌ غير مؤمنٍ بالخرافات، لكنّ ذلك الرّجل وفي تلك الليلة تحديدًا له سمعةٌ سيئةٌ، هل تسمعينني؟، عليك أن تظلّي داخل المترو إلى أن يتحرك مرةً أخرى، هناك شيءٌ غريبٌ يحدث هناك، أحد أصدقائي رآه من نافذة المترو وهو يتحرك، لا أعرف إن كان هذا حقيقيًا، ربما كان صديقي يحاول إخافتي فحسب لكنّه بدا جادًا للغاية، حتى أنه لم يعد يستقلّ قطارات الخطّ الخامس منذ رأى هذا الرجل.

باولا أنا لا أحاول إخافتك طبعًا، لكنّها مدينةٌ كبيرةٌ وكما يقولون ...، أقصد بسبب كونها مدينةً كبيرةً فمن الطبيعيّ أن يختفي بها العديد من الناس، لكن ... ليس كلّهم أحياءً، لا يعرف أحدهم أين يذهب من يموت، يقولون إنّ الأرواح تذهب لأماكن كهذه، أعرف أنّ كلامي يبدو غريبًا، على أيّ حالٍ لو ابتعدنا عن الخرافات قليلًا فتلك المحطة المهجورة من الممكن أن تمتلئ باللصوص والمغتصبين، إنه مكانٌ سيءٌ، ارحلي من هناك فورًا، باولا ... باولا ... هل تسمعينني؟». خفضت باولا هاتفها ببطءٍ، تحاول أن تفكر فيما قاله لها كارلوس وأن تجد به ولو إشارةً واحدةً على العقلانية، لكنّ مونيكا بجوارها كانت في حالةٍ سيئةٍ وهي تسألها: « باولا؟، ما الأمر؟، لماذا توقفنا؟، من هذا؟». همست باولا وهي تغلق هاتفها وتضعه في حقيبتها: « علينا أن نخرج من هنا». كانت تتحدث بصوتٍ خفيضٍ وهي تنظر للأمام تجاه الفتى الذي أكمل طريقه أمامهما، صاحت به مونيكا بعصبيةٍ: « لا تمش بسرعةٍ». بدت باولا كأنها استيقظت للتوّ وهي تمسك بيد صديقتها وتقول: « لا تتحدثي إليه يا فتاة، هذا ليس كارلوس». « ماذا تقصدين بأنه ليس كارلوس، إنه يعلم اسمك، كارلوس!، توقف». « مونيكا، لا!». هنا فقط توقف الفتى الذي يسير أمامهما، أمرته مونيكا: « كارلوس، استدر». شعرت باولا بالرعب واليأس، كانت على وشك البكاء وهي

تقول: « مونيكا، أرجوك، علينا أن نخرج من هنا». استدار الفتى فورًا

لكنّ وجهه كان قد اختفى، جبهته العريضة كانت شاحبةً وممتدةً إلى ذقنه، صاح بهما بصوتٍ مرعبٍ: « لماذا لا تتبعونني؟». « ما ... ما خطب وجهك؟». لاحظت مونيكا الأعين الفارغة والوجه عديم الملامح، صرخت في باولا وهي تمسك يدها: « اهربي». استدارتا فورًا وهما تعدوان بعيدًا عن هذا الكائن غير البشريّ، صاحت باولا: « لا أستطيع أن أرى أيّ شيءٍ». « فقط اجري». « إلى أين؟». في تلك اللحظة شعرت كلتاهما ببريق أملٍ وهما تراقبان أبواب المترو وهي تفتح والأضواء وهي تعود للعربة مرةً أخرى، صاحت مونيكا: « هيّا بنا لداخل العربة، هل ترينها؟». بالطبع كانت باولا تراها، في الواقع تلك العربة كانت الشيء الوحيد الذي تراه باولا، ذلك هو خلاصهم

سألت صديقتها وهي تقترب بسرعةٍ من العربة: « هل يتبعنا؟». ردت مونيكا وهي تعدو بأقصى سرعةٍ: « لا أعرف، ولن ألتفت لأتحقق من الأمر». ردد الصدى صوت صفارةٍ عاليًا ومزعجًا لينبههما أنّ الأبواب على وشك أن تغلق، زادت الفتاتان من سرعتهما وهما تشعران بالخوف، قطرات العرق البارد كانت تملأ جبهة باولا، سقطت قطرة عرقٍ على عينها

اليمنى، أحرقها الملح ممّا جعل رؤيتها غير واضحةٍ، صرخت مونيكا: « باولا، اللعنة، أسرعي». « أنا على وشك الوصول». تستطيع أن تراها، لكنّها لا تراها بوضوحٍ، كانت تعلم أنّ العربة المضيئة أمامها تمامًا، صرخت مونيكا: « اجري، سأمسك لك الباب». وصلت مونيكا في الوقت المناسب وهي تحثّ باولا على الإسراع بصوتٍ عصبيٍّ، صرخت باولا بيأسٍ: « لن أستطيع فعلها!». « بل ستستطيعين، اجري!». صرخت بها مونيكا وهي تحاول منع الأبواب التي بدت كأنها تغلّق مهما حاولت: « أعطني يدك». أمسكت رسغها وهي تقول: « أمسكت بك». حاولت جذب صديقتها بكلّ قوتها ونجحت في جذبها لداخل العربة، سقطت باولا أرضًا على ركبتيها وأغلقت الأبواب.

قالت مونيكا بسعادةٍ: « لقد فعلناها!». تحدثت باولا وهي تتنفس بصعوبةٍ: « شكرًا يا مونيكا، شكرًا جزيلًا». قالت مونيكا وهي تشعر بالاطمئنان: « كان هذا غريبًا، أليس كذلك؟». « لا، لا أريد تذكّر أيّ شيءٍ ممّا حدث، كلّ ما أريده أن تتحرك تلك العربة الآن». « الفتى، أو أيًّا كان هذا الشيء ... كان يتبعنا أليس كذلك؟». شعرت باولا بالعرق البارد يملأ جسدها وهي تهمس بخوفٍ: « انظري». كان الوجه الفارغ الشاحب ملتصقًا بنافذة العربة كأنه يراقبهما، صرخت مونيكا: « اللعنة، انظري إليه، أناخائفةٌ منه للغاية، اللعنة عليك أيها

الوغد». كانت تحاول طرد خوفها لكنّ باولا كانت على عكسها تشعر بالخوف وهي تقول: « أرجوك، لا تصرخي به، فقط تجاهليه، تجاهليه تمامًا كأن لم يكن». لكنّ مونيكا أكملت صراخها: « لماذا؟، اللعنة عليه». ظلّ الشيء بلا حراكٍ وهو يراقبهما عبر الزجاج، قالت باولا بخوفٍ: « مونيكا، إنه يراقبنا، ما خطب عينيه؟». « استرخي فحسب، لقد أغلقت الأبواب ولن يستطيع الوصول إلينا، لن يستطيع أيّ شخصٍ الدخول أو الخروج من هنا». بكت باولا وهي تقول: « اجعليه يتوقف عن مراقبتنا». « مراقبته لنا لا تزعجنا، الأمر المزعج أنه يبدو كما لو أنه يبتسم بسخريةٍ رغم أنه لا يمتلك فمًا، ألا تشعرين بهذا؟». بدأت العربة في التحرك وتنهدت كلتاهما بارتياحٍ، يبدو أنهما أخيرًا على وشك الخروج من هنا، وخلال دقائق قليلةٍ سينتهي الأمر بأكمله.

انطلق النداء الآليّ معلنًا: « المحطة التالية هي محطة ساجرادا فاميليا». صاحت مونيكا بارتياحٍ: « تلك محطتنا، لقد فعلناها». لكنّ باولا لم تكن سعيدةً مثل صديقتها، كانت تتطلع للنافذة بخوفٍ وهي تقول: « مونيكا، وجهه يتبعنا، يتحرك معنا من خلف الزجاج، كيف يعقل هذا؟، هل هو يطير أو شيءٌ كهذا؟، مونيكا ... هل تسمعينني؟ ... مونيكا ... قولي شيئًا أرجوك». بدأت مونيكا في الضحك بهيستيريا، قالوا إنّ تلك كانت طريقتها في مواجهة نوبات الهلع الضخمة التي

تهاجمها، ضحكت لأنّ عقلها كان غير قادرٍ علي تقبل وجود شيءٍ بهذا الشرّ وهذه القوة، تصاعدت ضحكاتها وهي تشعر بانقباضٍ مخيفٍ يهاجم معدتها

سألتها باولا بخوفٍ: « مونيكا؟ ... ما الأمر؟». استمرت مونيكا في الضحك بهيستيريا وهي تقول من بين ضحكاتها: « إنه لا يراقبنا من خلف الزجاج يا باولا ... إنه لا يقف خلف الزجاج ... هذا هو انعكاسه». « ماذا تقصدين؟ ... إذن أين هو؟». جاءتها الإجابة على شكل نفسٍ باردٍ طويلٍ شعرت به على مؤخرة عنقها

صرخة باولا الأخيرة، ونفسها الأخير اختلطا مع صوت المترو وهو يتوقف في المحطة، وضحكات مونيكا الهيستيرية تتعالى منه.

الحكاية الخامسة: طقس الساونا

تأليف: ماركو هوتالا- من فنلندا

ترجمة: محمد عصمت

سألت صوفي: «هل تعرفون معنى كلمة هالوين في اللّغة الفنلنديّة؟». كانوا يجلسون على منضدةٍ في حانةٍ نصف فارغةٍ مع أكثر نادلات العالم قسوةً، كانت تستند على البار وهي تتطلّع للفراغ، أغنية «نحن الأبطال» لـ «كوين» تصدح عاليًا عبر السّمّاعات للمرّة الثّالثة.

لم يثر سؤال صوفي اهتمام أيّ شخصٍ، تثاءبت كيارا وهي تنظر للخارج عبر النّافذة، دان مستمرٌّ في العبث بطبقٍ فارغٍ على المنضدة ويولي الأمر اهتمامًا كبيرًا.

تجشّأ مارك وهو يسأل بعد اهتمامٍ: « وفيم يهمّنا الأمر؟»

قالت صوفي وهي تفحص هاتفها: «في فنلندا يطلقون على الهالوين كيركي».

قالت كيارا، وكأنّ الأمر أثار اهتمامها، لكنّها لم تبعد عينيها عن النّافذة: «حقًّا؟»

ردّد دان الكلمة وهو مستمرٌّ في العبث بطبقه: «كيركي».

للتوّ قضوا حوالي خمسة عشر دقيقةً يتناقشون في أنّ أيّهم لم يتم دعوته إلى إحدى حفلات الهالوين الخاصّة بطلّاب التّبادل.

قالت كيارا مبرّرةً: «ربّما يعرفون أنّ لديّ ميعادٌ لتسليم مقالٍ مهمٍّ يوم الإثنين».

ادّعى مارك: « ربما يعرفون أنّني أظنّ أنّ الهالوين عبارةً عن قمامةً فحسب».

لم يعلّق دان على الأمر.

بعد انتهائهم من الحديث حول حفلات الهالوين التي لم يدعوا لها، كان عليهم الانتقال لموضوعٍ آخر لكنّ صوفي لم تستطع مقاومة نفسها.

قرأت منذ قليلٍ مقالًا عن الهالوين الفنلنديّ، لكنّ جلوسها في حانةٍ نصف فارغةٍ تستمع لأغنية نحن الأبطال لم يبد أمرًا مثيرًا، على بعد عدّة طاولاتٍ جلس مجموعةٌ من طلّاب التّبادل الصّينيين يتبادلون الحديث بصوتٍ صاخبٍ، يبدو أنّهم لم يتم دعوتهم هم الآخرون، من المعروف أنّ طلّاب التّبادل لا يندمجون مع المجتمع الفنلنديّ بسهولةٍ وهذا يرجع لسببين، إمّا أنّهم غير مثيرين أو أنّهم فعلوا شيئًا سيّئًا في بلادهم.

وكلّ من يجلس على تلك الطّاولة يتوفّر به أحد الخيارين أو كلاهما.

مارك كان متغطرسًا بشكلٍ لا يمكن إنكاره، يتحدّث بسرعةٍ كبيرةٍ وبلكنةٍ اسكتلنديّةٍ لا يفهمها أيّ شخصٍ أبدًا.

كيارا وقحةٌ وتقترب من النّاس حين تتحدّث معهم، رائحة أنفاسها سيّئةٌ كالجحيم، نطقها للّغة الإنجليزيّة غريبٌ للغاية، بسبب رائحة أنفاسها الكريهة لم يتم دعوتها إلى أيّ حفلاتٍ.

كان دان طالبًا مثاليًا لكنّه كان يمتاز بالغباء الاجتماعيّ، في حفل استقبال طلّاب التّبادل كان يزرع نفسه بالقوّة في كلّ طاولةٍ، يتحدّث مع الجميع عن مسابقة الرّياضيّات التي فاز بها في هولندا، وانتهى به الأمر منبوذًا في ركن القاعة بصحبة عنكبوتٍ ميّتٍ على الأرض.

لكنّ صوفي كانت تختلف عنهم.

لم تنتم لمجموعة المنبوذين ولا تنتمي لمجموعة الذين فعلوا شيئًا لا يغتفر، كانت صوفي ذكيّةً للغاية، جذّابةً، خفيفة الظّلّ واجتماعيّةً، لكنّها وعلى عكس دان خرّبت فرصتها الكبرى.

في حين كان دان يثير نفور الجميع ليلة حفل الاستقبال كانت هي ثملةً كفرس النّهر، شوّهت أريكةً في القاعة وسبّت

الفوج الفرنسيّ، في الصّباح التّالي أدركت فداحة الأمر، وقرّرت أن تعود لكوبنهاجن على متن الطّائرة القادمة، لكنّها هدأت بعد قليلٍ وأدركت أنّها هربت من بلدتها الأمّ بسبب مثل هذه التّصرّفات، وانتهى بها المطاف على منضدة المنبوذين بصحبة كيارا، دان، ومارك.

بدأت صوفي تقرأ المقال: «يسخّن الفنلنديّون أحواض السّاونا الخاصّة بهم من أجل موتاهم في كيركي».

قال مارك بمللٍ: «ساونا مرّةً أخرى؟، كلّ ثقافة وحضارة تلك الدّولة تتمحور حول السّاونا فقط، ورغم هذا هل تتخيلين الموتى عراةً في أحواض السّاونا، هؤلاء القوم مجانين».

قالت كيارا وهي ترشف من كوب نبيذها الأبيض: «دولةٌ سخيفةٌ».

قالت صوفي: «على الأقلّ أحاول تعلّم شيءٍ عن تلك الدّولة السّخيفة، سيكون من الأفضل أن تتقبّلي عدم وجودك بولاية كنساس».

استمرّت صوفي في القراءة: «في بعض أنحاء الدّولة، ظلّ تقليد ساونا الموتى حيًّا حتّى عام ثلاثين وتسعمائةٍ وألفٍ ١٩٣٠م، وبعد ذلك بدأ في الاختفاء، لكن مؤخّرًا عاد ذلك التّقليد مرّةً أخرى ليضفي على كيركي رعبًا يشبه عيد

الهالوين في الثّقافة الأمريكيّة، ومن ثمّ بدأت ثقافة ساونا الموتى تنتشر مرّةً أخرى».

تمتمت كيارا: «مللٌ».

قال دان: «يا لها من إضاعةٍ للكهرباء وللتّدفئة».

صاح بهما مارك: «اصمتا، استمرّي في القراءة».

دهشت صوفي من تحمّس مارك للأمر لكنّها أدركت أنّه سيستخدم الأمر كهرّاوةٍ سياسيّةٍ ليستخدمها في مهاجمة الهالوين ومنظّمي حفلاته.

قالت صوفي: «ليس هناك أكثر من هذا، لكن دعني أبحث ...».

أغلقت المقال وعادت للبحث عن معلوماتٍ أكثر لكنّها لم تجد سوى تعليقٍ واحدٍ على المقال السّابق، قالت لمارك هذا فقال باهتمامٍ: «اقرئيه».

بدأت صوفي بالقراءة: «إن كنت مهتمًّا بالأمر، اذهب لساونا حورو في الهالوين، مكانٌ بدائيٌّ أصيلٌ، انظر بنفسك لكن تحلّى بالاحترام».

سأل مارك: «هذا فقط؟».

«أجل».

طرق مارك على المنضدة بأظافره وهو ينظر خلف صوفي، بعد دقائق قال: «ماذا إن نظّمنا حفلنا الخاصّ، في مكانٍ بدائيٍّ أصيلٍ كساونا حورو؟ ما هو مكانه؟».

تنهّدت صوفي بإحباطٍ لكنّ مارك أصرّ على الأمر: «يمكننا توثيق تقليدٍ حقيقيٍّ، وجذب شركاتٍ عديدةً بوضعه على الانستجرام».

لم يكن مارك من المهتمّين حقًّا بوسائل التّواصل الاجتماعيّ لكن هنا بدأ الحماس يظهر على كيارا، أثار الأمر اهتمامها حين تصوّرت وضعها لمغامرةٍ شيّقةٍ على الانستجرام قضتها أثناء فترة التّبادل.

كتبت صوفي (ساونا حورو) في مربّع البحث.

قالت بعد لحظاتٍ: «نتيجة بحثٍ واحدةٍ، يبدو أنّه ليس مكانًا جاذبًا للسّياحة».

قال مارك: «هذا أفضل، ماذا تقول؟».

أخذت الصّفحة وقتًا طويلًا كي تفتح وقبل أن ينفد صبر صوفي بلحظاتٍ ظهرت خريطةٌ أمامها فأعلنت الأمر للجميع: «إنّها خريطةٌ!».

صاح مارك بصوتٍ عالٍ: «هذا كلّ ما نحتاجه».

سقط الطّبق من يد دان أسفل الطّاولة بينما رشفت كيارا رشفةً أخرى من مشروبها.

توقّف الطّلّاب الصّينيّون عن الكلام ونظروا لهم.

***

في اليوم التّالي، وجد مارك، بمساعدة طالبٍ فنلنديٍّ، كتيّبًا عن تجربة حورو للحياة البدائيّة، وعرف من خلاله وجود كوخ وساونا بدائيّين مملوكين لإحدى الشّركات الإقليميّة، لكنّ استخدامهما مجّانيٌّ للجميع.

تركوا مهمّة استئجار السّيّارة لدان لأنّه كان صبورًا بما يكفي للجلوس ساعاتٍ أمام الحاسوب يقارن أسعار الشّركات ويبحث عن الأرخص، في النّهاية حجز سيارة فولكس واجن صغيرة الحجم بما يكفي لتتناسب معهم، كانت مساحتها صغيرةً ممّا أجبر كيارا على ترك وسادتها المفضّلة في غرفتها.

كانت صوفي أوّل من وقع عليها الاختيار لقيادة السّيّارة، تحرّكت السّيّارة بسلاسةٍ عبر المدينة، لكن بمجرّد وصولهم للطّريق السّريع بدأت تهتزّ بضعفٍ بين الشّاحنات الضّخمة.

سأل مارك بمللٍ: « لماذا لا نسرع قليلًا؟»

ردّت صوفي: « هذا أقصى ما أستطيع».

قال دان: «طبقًا للميزانيّة كان الخيار الأمثل هو سيّارةٌ للمدينة».

قال مارك وهو يرفع صوت الموسيقى: «هل لديك أيّ شيءٍ آخر لتخبرني إيّاه؟».

شمس شهر أكتوبر كانت تزيّن السّماء بينما اندلعت من الرّاديو موسيقى أغنية « أيّام المجد «لبروس سبرينغستين.

كانت تلك أغنيّة والد صوفي المفضّلة، لا تعرف صوفي ما إذا كان تذكّرها على الإطلاق؛ في المستشفى. لكنّها تعرف جيّدًا أنّها سعيدةٌ الآن، وبطريقةٍ ما بدأت تفكّر في الثّلاثة أشخاص المحيطين بها والتي تعتبرهم أصدقاءها رغم أنّها لم تعرفهم بشكلٍ كافٍ سوى من شهرين فقط.

ومن حولهم تتابعت اللافتات المعلّقة على الطّريق السّريع والمكتوبة بلغةٍ أجنبيّةٍ.

***

وصلوا لموقف السّيّارات الخاصّ بمؤسّسة حورو بعد الظّهر تقريبًا.

قال دان وهو يقرأ لافتةً مكتوبةً: « طول مسافة الطّريق حوالي اثنى عشر كيلومترًا، الكوخ في وسط الطّريق تقريبًا،

وستغرب الشّمس بعد أقلّ من ساعتين».

لم يحدث هذا لأحدهم من قبل، لم يشهدوا في أيّ وقتٍ أو أيّ مكانٍ حلول الظّلام مبكّرًا هكذا.

نظرت صوفي للّافتة، كانت قديمةً لكنّها على الأقلّ علامةٌ على وجود حضارةٍ في هذا المكان، لم يدخلوا للغابة بعد، على الأقلّ هناك سيّارةٌ أخرى في المكان.

سيّارةٌ أودي لطيفةٌ بلوحاتٍ سويديّةٍ.

قالت صوفي: «أحضروا أغراضكم، سأقود مسيرتنا».

***

حلّ الظّلام بسرعةٍ مخيفةٍ، في البداية كان من الصّعب عليهم تمييز نقاط الطّلاء التي تزيّن الأشجار التي تقودهم عبر الطّريق، لكن بعد قليلٍ أصبح من الصّعب رؤية الطّريق نفسه

قالت كيارا: « سنموت هنا»!

ضحكت صوفيا قائلةً: «لا، لن نموت، نحن في واحدةٍ من آمن دول العالم».

سأل مارك: «هل توجد حيواناتٌ مفترسةٌ هنا؟».

ردّ دان سريعًا: «دببةٌ وذئابٌ، لم تقتل الذّئاب أيّ شخصٍ في فنلندا منذ القرن التّاسع عشر، لكنّ الدّببة ...».

قاطعته صوفي: «لا تتحدّث عن ذلك الأمر، استخدموا أضواء هواتفكم كيلا تسقطوا».

«علينا أن نحافظ على البطّاريّات في حالٍ ...».

قاطعت صوفي دان بمزيدٍ من العصبيّة: «اخرس»!

استمرّوا في المشي وهواتفهم تضيء لهم الطّريق بضوءٍ خافتٍ، توقّفت صوفي بعد قليلٍ وهي تتشمّم الهواء قبل أن تسألهم: «هل تشمّون هذا؟»

سأل مارك: «ماذا يفترض بنا أن نشمّ بالضّبط؟». قالت صوفي وهي تتشمّم المكان: «دخانٌ».

أعلنت كيارا: «أستطيع شمّه».

قالت صوفي: «لنتّبع الرّائحة».

قال دان وهو يشير بإصبعه نحو ضوءٍ متوهّجٍ يظهر من بين الأشجار: «لا حاجة لنا بذلك».

كان هناك مخيّمٌ، باستطاعة صوفي سماع صوت النّيران من هنا.

قالت أخيرًا: «أخبرتكم أنّنا لن نموت، هيّا بنا».

اقتربت صوفي من النّيران المشتعلة، ظهر من خلفها زوجان ورجلٌ وحيدٌ، خرج صوتها وهي ترحّب بهم ترحيبًا مليئًا بالإحباط، قائلةً: «مرحبًا».

سألها رجلٌ بإنجليزيّةٍ كسيحةٍ: «هل كلّ شيءٍ على ما يرام؟»

ظهر خلفها مارك، ومن بعده دان وكيارا ممسكان بيدي بعضهم البعض، سألهم الرّجل: «هل أنتم تائهون؟»

ميّزت صوفي لكنته السّويديّة، فأجابته: « نوعًا ما».

بدأ حماسها يختفي ليظهر الخجل بدلًا منه، سألهم الرّجل: «هل تملكون كشّافًا؟».

هزّت صوفي رأسها نافيةً، ردّ الآخر سريعًا: «سيّاحٌ أغبياءٌ».

نظرت له صوفي من خلف النّيران، كانت ملامحه جامدةً، يرتدي معطفًا أخضر اللّون وسروالًا مموّهًا، كانت لهجته فنلنديّةً للغاية.

نادتهم المرأة: « تعالوا، تدفّأوا».

أجابتها كيارا وهي تشعر بالارتياح: «شكرًا».

جلسوا على جذوع الأشجار وهم يستخدمونها ككراسي، قال الرّجل الفنلنديّ: «تهتم في الغابة ووسط الظّلام، إذا زادت برودة الجوّ ستموتون».

بجوار عينه اليسرى وحمةٌ حمراء كبيرةٌ، مازال وجهه خالي من المشاعر، كأنّه يرتدي قناعًا، في البداية كانت صوفي تندهش من برود النّاس هنا لكنّها عرفت أنّه طبعٌ بهم وبدأت في تقبّله.

قالت المرأة وهي تحكم إغلاق معطفها: «أنا ليندا».

قال الرّجل الواقف: «أنا إريك».

قدّمت لهم صوفي نفسها، ومن ثمّ قدّمت لهم مارك، ودان، وكيارا، وذلك قبل أن تسألهما: «هل أنتما سويديّان؟».

أجابا: «أجل».

سألت صوفي الرّجل صاحب المعطف: «وأنت فنلنديٌّ؟»

أومأ برأسه وهو يلكز النّيران.

اقترب مارك من النّار يستجدي دفئها وهو يقول: «رائعٌ، علينا أن نتدفّأ قليلًا في حال قرّرنا النّوم تحت النّجوم».

ضحك إريك قائلًا: «لن يكون عليكم النّوم تحت النّجوم اللّيلة».

وأشار بيده خلفهم، استداروا لينظروا علام يشير.

كانت ملامح الكوخ ظاهرةً لهم رغم الظّلام، سأل مارك وهو لا يصدّق: «إذن هذا كوخ حورو؟»

أجابته ليندا: «هناك متّسعٌ للنّوم لحوالي عشرة أشخاصٍ، من اللّطيف أن نحظى بصحبةٍ الآن».

أنهت كلماتها وهي تتأمّل الرّجل الفنلنديّ، الذي بدا تائهًا في عالمه الخاصّ، أدركت صوفي أنّ الثّنائي السّويديّ فرح بصحبتهم تمامًا كفرحتهم بوجودهم أمام النّار.

سألتهم: « لماذا أنتم هنا؟»

كانت تخشى أن يسألوها نفس السّؤال، فكرة عيد كيركي البدائيّ تبدو سخيفةً للغاية الآن، نظر إريك لزوجته بفخرٍ وهو يقول: « ليندا تكتب كتابًا».

سألهم مارك: «حقًّا، أيّ نوعٍ من الكتب؟»

ظهر على ليندا عدم الارتياح وهي تجيبه: «غموضٌ».

سألها مارك مرّةً أخرى بإلحاحٍ: «هل نشرتي أيّ كتابٍ من قبل؟»

كان يخبر أصدقاءه دومًا أنّ مخطوطة كتابه الأوّل قد

انتهت، وأنّه يبحث عن فرصةٍ جيّدةٍ لنشره خصوصًا مع تأكيده لهم أنّ كتابه سيحدث ثورةً في عالم النّشر.

ردّ إريك بالنّيابة عن زوجته: «ثلاثةٌ من الكتب الأكثر مبيعًا».

لمعت عينا مارك بالغيرة وهو يقول: «عظيمٌ»!

سألها دان: «هل تقومين ببعض الأبحاث؟»

ردّت باقتضابٍ: « نوعًا ما، ماذا عنكم؟ هل أنتم تخيّمون؟» الكلمة ترجمتها خطأ، الصواب: تتنزهون.

حاول مارك شرح خطّتهم لكنّه شعر بالإحراج وهو يقول: «نحن فقط ...».

ابتسمت كيارا وهي تقول: «أردنا أن نرى ساونا الموتى وحسب».

أنهت كلماتها وهي تلتقط صورةً شخصيّةً (سيلفي) أمام النّيران.

سألهم إريك: «ساونا الموتى، يبدو هذا مثيرًا».

ردّت كيارا وهي تتموضع أمام الكاميرا ثانيةً: «أجل».

قال مارك مفسّرًا: «هذا تقليدٌ فنلنديٌّ للهالوين».

ساد الصّمت بعد ذلك لفترةٍ طويلةٍ.

« تدفّئ السّاونا هنا دومًا للموتى».

نظر الجميع للرّجل الفنلنديّ، تراقصت النّيران أمام وجهه جامد الملامح، ممّا جعل وحمته تبدو كطلاء حربٍ بدائيٍّ، وأخذ يكمل: «يحدث هذا دائمًا في كيركي».

سألته ليندا: «حقًّا؟ ومن الذي يدفّئها؟».

«أنا».

نظرت ليندا للآخرين بحثًا عن الدّعم وهي تقول: «من الجيّد أن تحافظ على التّقاليد القديمة حيّةً».

لم يردّ الرّجل على مجاملتها، تحوّلت أنظار صوفي إلى يديه، مفاصل يده وأصابعه بالكامل كانت مغطّاةً بالسّخام.

قال الرّجل: «علينا أن نتذكّر الموتى، هم الأغلبيّة، ونحن أقلّيّةٌ».

هذه المرّة كان الصّمت طويلًا وغير مريحٍ.

في النّهاية تحدّث إريك: «وهل يسمح للأحياء بدخول السّاونا؟».

«ليس بعد منتصف اللّيل».

سأل مارك بفضولٍ: «ماذا سيحدث لو دخل شخصٌ حيٌّ إلى السّاونا بعد منتصف اللّيل؟».

ردّ الرّجل: «لن يحدث، لن يفتح الباب للأحياء».

قال دان وهو يشعر بالغباء: «لا أفهم، هل تقصد أنّ الأبواب تغلق نفسها؟».

ردّ الرّجل وهو مستمرٌّ في لكز النّيران: «لن تفتح الأبواب».

هزّ دان رأسه وهو يتنهّد.

فجأةً تحدّث الرّجل مرّةً أخرى: «بالطّبع تستطيع أن تحاول خداعهم، تستطيع التّظاهر بالموت، لكنّها لعبةٌ خطيرةٌ».

نظر الآخرون حولهم في ارتباكٍ، لاحظت صوفي أنّ مارك مستمتعٌ، لكنّه كتم ضحكاته وهو ينظر للغابة المظلمة.

حاول إريك التّظاهر بالجدّيّة وهو يسأله: «لكن قبل منتصف اللّيل نستطيع فتح الأبواب بشكلٍ طبيعيٍّ؟! بالرّغم من أنّنا أقلّيّةٌ إلا أنّه يحقّ لنا الاستمتاع بالسّاونا».

أومأ الرّجل...

قال إريك: «عظيمٌ، هل يجب علينا الدّخول للدّاخل؟ عليكم أنّ تختاروا أسرتكم، بالإضافة لوجود بعض الطّعام المعلّب والنّبيذ الأحمر في انتظار أن نشاركهم».

قال إريك: «جيّدٌ».

لم يتحرّك الرّجل الفنلنديّ، سأله إريك: «هل ستظلّ هنا؟».

«أجل».

«حسنًا».

كادت صوفي ترحل إلّا أنّها توقّفت لتفحّص وجه ويدي الرّجل، السّخام يغطّيه، يبدو وكأنّه يختبئ خلف السّخام ليمنع الآخرين من الاقتراب منه، لم تفهم السّبب الذي يدفع أحدهم لعزل نفسه عن الآخرين بهذه الطّريقة، تحت قدميه سلّةٌ بسيطةٌ لكنّ بها شيئًا يبدو وكأنّه يمتلك أعينًا وقرونًا.

قال الرّجل: «قناع ماعزٍ تنكّريٍّ».

كان قد لاحظ نظرات صوفي، أكمل كلماته: «أرتديها حين أفتح تدفئة فرن السّاونا للموتى، لا تخافي».

أجابته صوفي: «لن أخاف، أشكرك على أيّ حالٍ».

عاد الرّجل للنّظر إلى النّيران مرّةً أخرى وتبعت صوفي الآخرين.

***

همست كيارا بقلقٍ لصوفي حين دلفتا للدّاخل: «لا أستطيع

النّوم هنا».

رائحة الدّخان وضوء المصباح الكثيف جعلا الأمر صعبًا، تقشّر دهان الجدران الرّماديّ، وبرز القشّ من خلفها.

قال مارك: «مرحبًا بكم في المنزل».

تلفّتت صوفي حولها وهي مشدوهةٌ، أنار مصباح الزّيت الغرفة، خلق وهجه ظلالًا وانعكاساتٍ لا تتوقّف، في الزّاوية يقبع موقدٌ مليءٌ بالشّقوق، كانت الأرض عاريةً، شعرت صوفي كأنّها انتقلت بالزّمان مئات السّنين للخلف، حين ستعتمد على النّيران في التّدفئة، بينما تجوب الذّئاب بالخارج.

قال إريك: «هناك مكانٌ فارغٌ هنا».

ذهبوا ليتفحّصوا الأمر، غرفةٌ بلا نوافذ بها زوجان من الأسرّة الثّنائيّة مغطّاةٍ بأغطيةٍ كثيفةٍ، وضعوا حقائبهم على الأرض، واختار كلٌّ منهم مكانًا، وضع دان حقيبة نومه على سريرٍ سفليٍّ بينما تسلّق مارك السّرير العلويّ، واضعًا حقيبته تحت رأسه، بينما السّرير الثّنائيّ الآخر كان ملكًا لصوفي وكيارا.

سألهم إريك وهو يقف على باب الغرفة: «من يريد النّبيذ؟»

في الحقيقة أراد الجميع. ذهب إريك لإشعال فرن غرفة السّاونا وحين عاد سألته صوفي: «ألن يدخل الرّجل الفنلنديّ أبدًا؟»

فرك يديه ببعضهما البعض وهو يستجدي بعض الدّفء، أجابها: «لا يزال يجلس بجوار النّيران، على الأقلّ دلّني على كيفيّة إشعال فرن السّاونا».

«هل تعرفه؟»

هزّ إريك رأسه نافيًا وهو يقول: «كان هنا حين وصلنا؟»

رشفت كيارا من كوبها وهي تقول: «ربّما يكون معتوهًا».

قال دان: «طبقًا للإحصائيات فإنّ نسبة المعاتيه هنا قليلةٌ للغاية».

خفض إريك صوته وهو يقول: «هو مواطنٌ فنلنديٌّ تقليديٌّ، بينما يبني العالم بأكمله الحضارة، كانوا يجلسون في أكواخهم يأكلون الحشرات وينظّفون بعضهم البعض».

صاحت ليندا وهي تشعر بعدم الرّضا عن تعليق زوجها: «إريك، هذا عنصريٌّ».

ولمدّة دقيقةٍ عجز الجميع عن استكمال تلك المحادثة، قرقعت النّيران، سأل مارك ليندا: «ما شأن هذا المكان

بكتابك؟»

ضحكت ليندا وهي تقول: «هل حقًا تريد أن تسمع؟»

كانت وجنتاها محمرّتين بسبب الدّفء والنّبيذ، ردّ مارك بالنّيابة عن الآخرين: «بالطّبع».

خفضت ليندا كوبها وهي تقول: «عام ثلاثةٍ وتسعين وتسعمائةٍ وألفٍ ١٩٩٣ وقعت جريمة قتلٍ في كوخ حورو».

سألتها كيارا: «هل تقصدين هنا؟»

أومأت ليندا وهي تقول: «لكنّ الأمر لا يتعلّق فقط بالمكان، بل باللّيلة أيضًا، والقصّة لا تتوقّف عند هذا الحدّ بل إنّها أيضًا تتعلّق بالشّيء الذي أحضركم إلى هنا: ساونا الموتى».

سألها مارك: «إذًا أنت تعلمين بأمرها؟»

لمعت عينا ليندا وهي تقول: «أجل، وسأسألكم مرّةً أخرى، هل حقًّا تريدون سماع الأمر؟»

بالطّبع كانوا يريدون.

قالت ليندا وهي تمسك كوبها بيدها وتقول: «في عام ثلاثةٍ وتسعين وتسعمائةٍ وألفٍ ١٩٩٣، أتى ثنائيٌّ من برلين ليخيّموا في تلك الغابة، ميلينا ستينارت ودانيال كوب، كان الكوخ لا يزال ملكًا لأسرة حورو في هذا التّوقيت، عاش مارتي حورو

ووالده المريض هنا، كانوا مكتفين ذاتيًّا هُنا بدون كهرباءٍ أو مياهٍ جاريةٍ، رفض الأب الذّهاب للمستشفى ليعالج من مرض السّرطان الذي أصابه، كان الابن هو أمنه الوحيد».

صمتت للحظاتٍ قبل أن تستكمل: «نوى ميلينا ودانيال العودة للفندق الذي يقيمان به والذي يبعد حوالي عشرين كيلومترًا من هنا، حيث كان ينتظرهما باقي أصدقائهما، لاحقًا اعترف أحدهم أنّ هدف رحلة ميلينا ودانيال ليس التّخييم وإنّما كان البحث عن مخدّر المشروم السّحريّ وإحضاره للآخرين، حين هبط الظّلام ولم يعد الثّنائيّ اضطرّ الباقون لإبلاغ الشّرطة، ويبدو أنّ الشّرطة المحلّيّة كان لديها بعض الشّكوك لأنّهم توجّهوا فورًا إلى كوخ حورو، وفي فناء الكوخ وجدوا حقيبةً بها معطفٌ واقٍ من المطر وكتابٌ باللّغة الألمانيّة، لكنّ الكوخ كان فارغًا، حتّى العجوز المريض لم يكن موجودًا، لكنّ الدّخان كان يتصاعد من مدخنة حوض السّاونا».

مالت ليندا على الطّاولة تجاه مستمعيها وهي تقول: «طرق رجال الشّرطة على باب السّاونا وفي النّهاية اضطرّوا لاقتحامها، وكان هناك مشهدٌ غريبٌ في انتظارهم، كان حورو العجوز يجلس على المقعد، عاريًا ويبدو أنّه ميّتٌ، وبجواره تجلس شابّةٌ صغيرةٌ، لكنّها كانت حيّةً، وللحظاتٍ ظنّ رجال

الشّرطة أنّهم وجدوا ميلينا لكن كان هناك شيءٌ خاطئٌ في تلك الفتاة، لم يتمكّنوا من تحديده في البداية، لأنّ السّاونا كانت مليئةً بالبخار الكثيف».

رشفت ليندا من كوبها، سألها دان: «كيف عرفت بأمر البخار؟ لن يكتب رجال الشّرطة تلك التّفاصيل في تقاريرهم!»

ابتسم إريك وهو يقول: «استمع للقصّة منها، إنّها المؤلّفة يا فتًى».

صمتت ليندا للحظاتٍ قبل أن تستكمل: «اتّضح أنّ الجالس بجوار العجوز الميّت هو مارتي حورو وليس ميلينا».

نظر الجميع لليندا التي ازدادت ابتسامتها عمقًا، سألتها كيارا بصوتٍ حادٍّ: «ماذا تقصدين؟»

تساءل مارك: «لماذا ظنّوه امرأةً؟»

أكملت ليندا: «ميلينا كانت ميّتةً، وجدوا جثّتها لاحقًا في الغابة خلف الكوخ، وبجوارها جثّة دانيال مشنوقةً، والجثّتان مسلوختان باحترافيّةٍ شديدةٍ».

شهقت كيارا بخوفٍ قبل أن تكتم شهقتها بيدها، أكملت ليندا حديثها: «أثناء التّحقيقات اعترف مارتي حورو أنّ

والده مات قبل يومين، ممّا سبّب لمارتي حالةً من الحزن العميق، وفجأةً ظهر هؤلاء السّيّاح ليقاطعوا حزنه، وعندها صوّر له عقله الصّغير أنّهما أتيا لاصطحاب والده بعيدًا، ولم يتقبّل مارتي هذا الأمر، خصوصًا وأنّ أحدهما كان امرأةً، كان والده يقول دومًا أنّ الرّجل يجب ألّا يؤذي أيّ امرأةٍ دون سببٍ».

سأل مارك بخشونةٍ: «لكن لماذا سلخهما؟».

ردّت ليندا: «هناك تفسيرٌ مجنونٌ للأمر، كانت نيّة مارتي حورو أن يدفّئ السّاونا لأبيه الميّت، لكنّ ظهور ميلينا ودانيال المفاجئ عطّل الأمر، بعد أن قتلهما، أراد التّكفير عن فعلته تجاه المرأة بأخذها للسّاونا مع والده الميّت، لكن حينها واجهته مشكلةٌ؛ والده لم ير أيّ امرأةٍ خلال العشر سنواتٍ الأخيرة، وخشي أن يرتكب جسدا أبيه وميلينا أيّ فعلٍ خاطئٍ يدنّس الطّقس به، وسرعان ما وجد عقله حلًّا بدائيًّا للأمر، أراد أن تكون ميلينا موجودةً في ساونا الموتى هي الأخرى، لكنّه أراد ضمان ألّا يرتكب الجسدان أيّ حماقةٍ».

بدأت صوفي تفهّم الأمر، أضافت: «لذا أرتدي جلد ميلينا المسلوخ داخل السّاونا».

نظرت لها ليندا وهي تقول: «منطقيٌّ، أليس كذلك؟»

أضاف دان: «لا ليس منطقيًا، أوّلًا ... لماذا اضطرّ لسلخ جلد دانيال كوب، و ...». صرخ به مارك: «اخرس قليلًا، تلك القصّة مجنونةٌ».

همس إريك وهو يغمز بعينه: «كلّ كلمةٍ في تلك القصّة حقيقيّةٌ، دعونا نشرب في نخبها».

رفع الجميع أكوابهم للأعلى.

مسح إريك فمه بظهر يده وهو يقول: «خمّنوا ما هي الخطوة التّالية؟»

قالت كيارا: «لا، لن أفعل هذا».

قالت ليندا بحماسٍ: «بحقّك!».

قال إريك: «يجب أن تكون السّاونا ساخنةً، لكنّ السّؤال المهمّ هو هل سنفعل الأمر بالطّريقة الفنلنديّة أم بطريقةٍ متحضّرةٍ؟»

سألت صوفيا: «تقصد هل سنفعلها عراةً أم بارتداء المايوهات؟»

ردّ سريعًا: «لا، عليك أن تكوني عاريةً دائمًا في السّاونا، لكن تلك ليست المشكلة، السّؤال هو هل سنذهب سويًّا أم أنّ الرّجال والنّساء سيفترقون؟»

سيطر الصّمت لمدّة دقيقةٍ..

اقترح مارك: «لنذهب جميعًا».

وفجأةً ذهب التّوتّر الذي سبّبته القصّة المخيفة، أخرج الجميع مناشفهم من حقائبهم وبدأوا في خلع ملابسهم، قالت ليندا: «لن يوافقنا مارتي حورو على الأمر، لكن لنذهب».

أثارت تلك المزحة عاصفةً من الضّحك، وسرعان ما وقف الجميع ملفوفين في مناشفهم تحت وهج مصباح الزّيت كما لو أنّهم يستعدّون لأداء طقسٍ وثنيٍّ، حاول الجميع التّظر لبعضهِم البعض بأركان أعينهم باستثناء إريك الذي لاحظت صوفي أنّه ينظر لهم مباشرةً، جذبت المنشفة على صدرها، أمسك إريك مصباحًا وهو يقول: «اتبعوني».

كان الظّلام دامسًا بالخارج، لمعت الأرض باللّون الأسود بسبب انعكاس ضوء المصباح، تهشّمت الأغصان والأزهار تحت أقدامهم ممّا جعلهم يقطعون الطّريق بخطواتٍ قصيرةٍ وصغيرةٍ، قبل الوصول للساونا رفعت صوفي رأسها للسّماء.

لم تر هذا الكمّ من النّجوم المتلألئة في حياتها من قبل، صاح مارك: «هيّا ادخلوا».

خفضت صوفي عينيها نحو المكان الذي يجلس فيه الرّجل الفنلنديّ، ضوء النّيران المحتضرة كان ضعيفًا للغاية، فكّرت

في وجهه الجامد الخالي من التّعابير، سمعت صوت إريك يقول بضيقٍ: «هيّا ادخلي الآن وأغلقي الباب خلفك، أنت تضيّعين كلّ الحرارة».

تجمّعوا بجوار بعضهم البعض على المقاعد رغم ضيق المكان، تسبّب لمسهم لجلود بعضهم البعض في حالةٍ من الإحراج.

قالت كيارا: «سيقتلني أبي إن رآني هكذا».

وضع إريك القليل من الماء فوق الصّخور وهو يقول: «ما يحدث في السّاونا، يظلّ في السّاونا».

انتشر البخار السّاخن ليحرق جلودهم ويخطف أنفاسهم، تسبّب الأمر في فزعٍ صوفيٍّ، يلتصق جلدها بجلد ليندا من جهة اليسار، بينما يلكزها كوع مارك في ضلوعها من الجهة اليمنى، ظلّ المصباح الزّيتيّ في غرفة تبديل الملابس، لذلك كان مصدر الضّوء الوحيد هو التّوهّج البرتقاليّ المنبعث من صندوق المدفأة.

حين أرسل لهم إريك بزجاجة النّبيذ، رشفت صوفي ثلاث رشفاتٍ قبل أن تتخلّى عنها وتمرّرها، بدأت خوفها يضمحلّ، نظرت عبر شعر ليندا الأشعث لترى يد إريك ترتكن على ركبة كيارا، يتحرّك على فخذها بهدوءٍ ورويّةٍ، لم تقاومه كيارا، ولم

تقل ليندا أيّ شيءٍ، رغم أنّها ترى كلّ شيءٍ

نظرت صوفي لمارك وهي تقول: «أريد الخروج».

سألها وهو يمسك بزجاجة النّبيذ في يده: «لماذا؟»

أجابته صوفي: «فقط تحرّك».

غسلت جسدها سريعًا بالماء البارد قبل أن تخرج لغرفة تبديل الملابس، شعرت صوفي كأنّها انتظرت أبد الدّهر لخروج الجميع، سرعان ما خرج مارك وليندا وهما يتبادلان الضّحكات، قالت ليندا وهي تلفّ جسدها بالمنشفة: «لنعد إلى الكوخ».

سألتها صوفي: «ماذا عن كيارا وإريك؟»

تفادت ليندا النّظر إليها وللحظةٍ ظهرت ملامح التّعب والإرهاق على وجه ليندا قبل أن تقول: «سيتبعاننا».

تحرّكت في الظّلام وتبعها الباقون، تردّدت صوفي للحظةٍ قبل أن تصيح: «سنترك لكم المصباح».

لكنّ ردًّا لم يأتها، ضغطت أذنها على باب السّاونا وسمعت صوت هسيس الصّخور وصوت الماء الذي يصبّ فوقها، ومن خلفهم صوت أنينٍ وهمساتٍ خافتةٍ.

فتحت صوفي الباب الخارجيّ وخرجت تعدو في الصّقيع،

تسرع الخطى نحو الكوخ، نظرت مرّةً أخيرةً نحو الثّيران لكنّها لم تر شيئًا هذه المرّة.

***

كانت ليندا ثملةً أكثر ممّا توقّعت صوفي، أخذت تخبر مارك عن كتبها، استمرّت في الحديث، ضحكا على مزحات بعضهم البعض مهما بدت سخيفةً أو غبيّةً، احمرّت وجنتاهما، سرعان ما بدءا في تقبيل بعضهما البعض كما لو أن دان وصوفي ليسا موجودان أبدًا

دخلت ليندا ومارك إلى الغرفة المجاورة وأغلقا الباب خلفهما، قال دان متسائلًا: «هناك شيءٌ واحدٌ لا أفهمه».

سألته صوفي: «ما هو؟»

«لماذا سلخ مارتي جلد دانيال كوب؟»

كان شعره أشعث لكنّ الأمر لم يبد أنّه يشغله على الإطلاق، كذلك لم يبد أنّه يهتمّ لأمر صديقه الذي دلف إلى الغرفة مع المرأة السّويديّة التي تكبره بعشرة أعوامٍ على الأقلّ.

ضحكت صوفي، لكنّ دان كان يتحدّث بجدّيّةٍ وهو يكمل: «سلخ مارتي لجلد ميلينا وارتداؤه داخل السّاونا أمرٌ أستطيع فهمه رغم صعوبته، لكن لماذا سلخ دانيال؟»

ردّت صوفي بعدم اهتمامٍ: «لا أعرف، إنّها مجرّد قصّةٍ».

«لكنّها غير منطقيّةٍ».

«بل إنّها منطقيّةٌ، تلك العاهرة تضاجع مارك في الغرفة بينما يضاجع زوجها كيارا في السّاونا، هناك منطقٌ لكنّك لا تستطيع رؤيته».

نظر دان لصوفي وعلامات الدّهشة تبدو جليّةً على وجهه، في النّهاية وقف وهو يقول: «سأذهب للنّوم».

ترك صوفي بمفردها، جلست لفترةٍ تحدّق في الفحم المتوهّج الموجود في المدفأة قبل أن تقرّر إضافة المزيد من الحطب إليه، وسرعان ما توهّجت النّيران مرّةً أخرى.

جلست صوفي على الأرض تحملق في النّيران وتفكّر في والدها، في كيف كان يبدو في أيّامه الأخيرة، كيف شعر وهو محاطٌ بالمعاطف البيضاء والأجهزة الطّبّيّة التي لم تثبت كفاءتها، في الجنازة شعرت أنّه لم ينل الاحترام الكافي، كانت جنازةً رخيصةً.

فجأةً وجدت نفسها تفهم دوافع مارتي حورو الذي أراد تنفيذ طقسٍ وثنيٍّ ليظهر الاحترام للموتى والذي نسيه العالم تمامًا.

توهّجت النّيران وبدأ النّوم يهاجمها، وبين اليقظة والنّعاس فكّرت في والدها وهو يجلس بجوارها على المقعد داخل السّاونا، يلكزها بكوعه في ضلوعها.

همست له: لتكن رحلتك جيّدةً يا أبي!

تجمّع بخار السّاونا فوق رأسه الأصلع ولمس عينيه المفتوحتين وشفتيه الخاليتين من الدّماء.

همس لها: أراك قريبًا.

شهقت حين عادت لأرض الواقع، كان دان يقف على باب الغرفة ويحمل بين يديه جريدةً قديمةً.

أعطاها الجريدة وهو يقول: «كانت مخبّئةً بين طيّات الفراش، تعود لعام ثلاثةٍ وتسعين وتسعمائةٍ وألفٍ ١٩٩٣».

أخذت الجريدة وهي تحاول قراءتها لكنّها لم تفهم العناوين المكتوبة بالفنلنديّة، قال لها دان: «انظري للصّور».

وفعلت صوفي، كانت الجريدة متغضّنةً بسبب الرّطوبة، لكنّها تظهر صورتين مهتزّتين لرجلٍ وامرأةٍ، تحت الصّور كان هناك جملةٌ مكتوبةٌ: (ميلينا ستينارت ودانيال كوب).

للحظةٍ لم تكن صوفي متأكّدةً من حقيقة الأمر، لم تستطع تقبّل فكرة أنّ القصة التي أخبرتهم بها ليندا كانت قصّةً

حقيقيةً، سمعت صوت دان يقول: «انظري لصورة دانيال كوب، خصوصًا عينه اليسرى».

لاحظت فورًا ما يقصده دان، وحمةٌ حمراء بجوار عينه اليسرى، قالت بصوتٍ خافتٍ: «غريبٌ!». لكنّها تذكّرت فجأةً وجه الرّجل الفنلنديّ الجالس أمام النّيران ووحمته الحمراء، قال دان: «لقد بحثت في الأمر، عقوبة القتل العمد في فنلندا أربعة عشر عامًا».

ضحكت صوفي بعصبيّةٍ وهي تسأله: « ماذا تقصد؟». « مارتي حورو.. حرًّا طليقًا».

نظرت لدان وهي تفتح فمها ببلاهةٍ، لم تستطع أن تجد الكلمات المناسبة التي ستصوغ بها جملتها التّالية، في النّهاية تمكّنت من قول: «يجب عليك أن تكون الشخص العقلانيّ طوال الوقت، يجب أن تجبر الجميع على فحص كلّ شيءٍ لعينٍ، حتّى اختيارك للوح شوكولاتة تجعل منه أمرًا لا يطاق».

ابتلع دان ريقه ولم يعقّب، استمرّت في حديثها: «والآن تحاول أن تخبرني أنّ قصّة عيد الهلع المخيفة التي أخبرتنا بها السّويديّة اللّعينة هي قصّةٌ حقيقيّةٌ؟»

لم تدرك صوفي أنّها تصرخ بوحشيّةٍ سوى حين وجدت

ليندا تقف بجوارها،

سألتها ليندا وهي تلفّ الغطاء حول جسدها: «ما الأمر؟ هل تأخّر إريك بالخارج؟». ردّ دان على حديث صوفي متجاهلًا ليندا: «الأمر منطقيٌّ».

سألتهم ليندا: «أليس على أحدكم الذّهاب والتأكّد من أنّ كلّ شيءٍ على ما يرام؟»

طوّحت صوفي الجريدة نحو اللّهب وهي تصرخ بها: «ربّما عليك أن تذهبي بنفسك».

توهّج اللّهب ليضيء الغرفة، ولاحظت صوفي على ملامح الجميع أنّها تفقد هدوءها، وهذا ليس أمرًا جيّدًا، هذا هو الأمر الذي تحاول تجنّبه في نفسها،

تفادت ليندا نظرات صوفي، خرج مارك ووقف مستندًا للباب ونظرة ثقةٍ تعلو ملامحه وهو يسأل: «من الذي يصرخ هنا؟»

أغلقت صوفي عينيها وهي تتنفّس بعمقٍ، أحيانًا ينجح الأمر في تهدئتها، عليها أن تغلق عينيها فقط إلى أن تهدأ وسيختفي غضبها.

سألها مارك: «هل كلّ شيءٍ على ما يرام؟». فتحت صوفي

عينيها ووجدت نفسها تقول فجأةً: «نحن نقاطع الطّقس الوثنيّ».

سيطر الصّمت على الجميع، أكملت حديثها: « نحن في كيركي، لذلك أراد أن يجهّز السّاونا للموتى، ارتدى زيّ رجلٍ ميّتٍ، ليستطيع دخول السّاونا في عيد الهلع، بهذه الطّريقة سيستطيع التّواصل مع والده، خبّأ جلد دانيال كوب ليستطيع فعل الأمر».

سألها مارك وهو يضحك بسخريةٍ: «ما الذي تتحدّثين عنه؟». قالت صوفي: «نحن نقاطعه، علينا أن نرحل الآن».

نظرت لمارك، ليندا ثمّ دان، قبل أن تقول: «علينا أن نتّصل بالشّرطة».

سألتها ليندا: «ماذا؟»

قال مارك وهو يتحرّك نحو النّافذة: «يبدو أنّك ثملةٌ».

لكنّها أكملت: «علينا أن نخرج كيارا وإريك من السّاونا، إنّ حياتهما في خطرٍ، علينا أم ....». قاطعها مارك قائلًا: « اهدئي قليلًا، إنّهم قادمون الآن».

أغلقت صوفي فمها.

أكمل مارك وهو ينظر عبر الزّجاج: «إنّهم يتسلّلون للخلف

وتبدو عليهم السّعادة».

وقفت صوفي وتحرّكت لترى

سألها مارك: «هل ترين؟ إنّهم أحياءٌ».

انضمّت لهم ليندا، انحنت نحو الزّجاج وحاولت أن ترى عبر الظّلام، كان إريك يمشي في المقدّمة وهو يحمل المصباح، تعبث الرّياح بشعره المبلّل وتحاول فكّ المنشفة عن جسده، كيارا لم تبدو واضحةً بسبب اهتزاز ضوء المصباح، كانت تمشي خلفه شاحبةً وملتفّةً في منشفتها.

قال مارك وهو يتفحّص هاتفه: «لقد خرجوا قبل أن يأتي الدّور على الأموات، الساعة الآن الثّانية عشرة».

في البداية رأت صوفي خيال جسدٍ ثالثٍ يتبعهم لكنّها حاولت إقناع نفسها أنّ الأمر مجرّد خدعةٍ بصريّةٍ بسبب الظّلام، لكنّها رأته مرةً أخرى، لم يكن وجهًا طبيعيًّا، كان يمشي خلف كيارا.

أعين سوداء قاتمةٌ وقرونٌ!

سألت ليندا: «ما هذا؟»

تذكّرت صوفي القناع الذي كان بجوار أقدام الرّجل قرب النّيران، قناع ماعزٍ كما أخبرها، وأخبرها أيضًا ألّا تخاف.

بالخارج كاد توازن إريك أن يختلّ بسبب العشب المبتلّ، تأرجح المصباح بقوّةٍ وظهر الشيء خلف كيارا مرةً أخرى.

كان القناع واضحًا الآن، الجسد الذي يرتديه كان شاحبًا، كان يحمل بين يديه شيئًا ما قبل أن يرفعه في الهواء خلف ظهره، أدركت صوفي أنّه فأسٌ.

صرخت ليندا وهي تقترب من النّافذة، ضغطت بيديها على الزّجاج وهي تصرخ مرةً أخرى لتحذّرهم.

ابتلع الظلام كيارا والشيء الذي يتبعها مرةً أخرى، توقّف إريك في منتصف الباحة، وللحظةٍ ظنّت صوفي أنّها تسمع بكاءها، لكنّ إريك ابتعد عن الكوخ، عدّل من وضع المنشفة حول وسطه، ووجّه المصباح نحو كيارا

في نهاية دائرة الضّوء استطاعوا رؤية شيءٍ محيّرٍ، شيءٌ لا يمكن أن يحدث في واحدةٍ من أكثر الدّول أمانًا في العالم.

قالت صوفي: «دان»!

كان صوتها هادئًا بشكلٍ لا يصدّق رغم كلّ ما يحدث، ردّ دان: « أجل».

قالت صوفي وهي لا تزال محتفظةً بهدوئها: «أوصد الأبواب».

كانت هادئةً رغم صرخات ليندا التي تكاد تصمّ آذانها.

احتجّ دان: «لا يمكننا أن نتركهم بالخارج».

كانت فكرته منطقيّةً لكنّه لم ير ذراع كيارا الممدودة ولا فمها المفتوح بفزعٍ وهي تموت، كرّرت صوفي أمرها: «أوصده».

صرخت ليندا: «لا، علينا أن نسمح لإريك بالدّخول».

أمرته صوفي: « الآن».

صرخ مارك بإريك من خلف الزّجاج، لكنّ إريك لم يسمعه، ربّما صعّب صوت الرياح الأمر، وربّما مظهر كيارا وهي ميّتةٌ أصابه بالشّلل، سقط أرضًا بلا حراكٍ.

سمعت صوفي صوت الباب يفتح، وشعرت بنسيم هواءٍ باردٍ يتسلّل للغرفة، صرخ مارك: « ليندا!». لكنّه كان متأخّرًا!

جرت صوفي خلفها قبل أن تتوقف عند العتبة، كانت ليندا قد ابتعدت في الظّلام، انحنت فوق زوجها النائم على الأرض لتتفحّصه، لاحظت صوفي نهر الدّم الذي ينسال من رقبته، تمسّكت به ليندا وكأنّها لا ترى القاتل القابع في الظّلام على بعد أمتارٍ قليلةٍ، استقرّ المصباح بجوارها أرضًا، وعلى ضوئه رأوا الفأس مرّةً أخرى، يتأرجح في الهواء مستعدًّا للسّقوط،

نظرت ليندا نحو صوفي، الرّجاء في عينيها كان يستجدي صوفي لفعل أيّ شيءٍ.

أفلت مقبض الباب من بين يدي صوفي، دفعه الهواء بعيدًا، رأت صاحب قناع الماعز يقترب منها، يمسك بفأسه بقبضتيه، أمسكت مقبض الباب مرّةً أخرى وهي تغلقه بقوّةٍ، تشبّثت به وهي تصرخ: « دان!»

أشار لها مارك بأصبعه موضّحًا أنّه يتّصل بالشّرطة.

وعبر الغرفة بدأت تسمع لهاث وكلمات دان غير الواضحة تحاول شرح الموقف، يتعثّر عبر الكلمات محاولًا إيصال المعنى لمن يحادثه، فكّرت صوفي بغضبٍ في الوقت الذي ستستغرقه الشّرطة من أجل الوصول إلى هنا، حتّى في حال تواجدت سيّارةٌ دوريّةٌ بالقرب منهم فيستغرقون الكثير من الوقت لعبور الغابة المظلمة.

صرخ مارك: «لن يدخل، لن نسمح له بالدّخول».

حدّقوا في الباب بخوفٍ إلى أن سمعوا صوت تحطّم الزّجاج الذي شتّت حديث دان، التفت صوفي ومارك خلفهما بسرعةٍ.

ركض دان نحوهم والهاتف لا يزال على أذنه.

كان دان مشغولًا بالتّحدّث مع موظّف الطوارئ وهو يسأل صوفي بخوفٍ: «ماذا سنفعل، إنّه يدخل من النّافذة».

فجأةً وجدت نفسها مسؤولةً عن اتّخاذ القرارات!

سمعوا صوت تكسّر المزيد من الزّجاج وصوت تشقّق الخشب تحت تأثير ضربات الفأس.

حاولت صوفي أن تفكّر بعقلانيّةٍ، من الممكن أن يهربوا عبر الغابة، هذا هو الخيار الأرجح، شعرت صوفي أنّ جسدها وأقدامها يحثّونها على الفرار الآن، ستخرج لتلتقط المصباح الذي أسقطه إريك، وستجري عبر الطّريق وصولًا للسّيّارة.

لكنّها سرعان ما أدركت أنّها فكرةٌ سيّئةٌ، ربّما سقطت، التوى كاحلها أو تاهت في الظّلام في حين أنّ مطاردهم يحفظ الغابة جيّدًا كأنّها منزله، وضوء المصباح كذلك سيجعل من تتبّعهم أمرًا سهلًا.

صرخت صوفي: «السّاونا».

سمعوا المزيد من التّشقّق، خفض دان هاتفه، كان موظّف النّجدة يتحدّث بلا مللٍ لكنّ كلامه غير مفهومٍ، سأل مارك في هلعٍ: «ماذا عنها؟»

«سنذهب إليها ونوصدها من الدّاخل، نافذتها صغيرةٌ ولن

تسمح لرجلٍ بالغٍ بالعبور منها، سننتظر بداخلها لحين وصول الشّرطة».

سألها دان: «وإن لم نستطع فتح الباب؟». سألته صوفي: «ماذا تقصد بأنّنا لن نستطيع فتح الباب؟». قال دان وعيناه تتّسع رعبًا: «السّاونا خاصّةٌ بالموتى، لن يسمح للأحياء بالدّخول».

حدّقت به صوفي في عدم تصديقٍ، ثمّ صفعته على وجهه بكلّ قوّتها وهي تقول: «تماسك قليلًا، سنذهب للسّاونا، هذا هو خيارنا الوحيد».

سمعوا صوت المزيد من الأخشاب تتشقّق في مؤخّرة الكوخ، ثمّ صوت سقوط شيءٍ معدنيّ على الأرض، صرخ مارك بفزعٍ: « لقد دخل».

قالت صوفي: «هيّا بنا».

فتحت الباب بقوّةٍ وهي تسمح للرّياح الباردة بالدّخول، وقبل أن تخطو خطوةً واحدةً عبرها مارك عدوًا تاركها خلفه، ضربها بكوعه أثناء اندفاعه فارتطم رأسها بالباب، قاومت لكنّ الظلام كان يسيطر على كلّ شيء، كادت تقاوم وتستعيد القليل من توازنها لكنّ دان دفعها بعنفٍ لكي يعدو خلف مارك، سقطت أرضًا وهي تحاول مقاومة الدّوار.

مع أصدقاءٍ كهؤلاء ظنّت صوفي أنّها الضّحيّة التّالية، لا شكّ في هذا، الرّجل ذو قناع الماعز الآن في الكوخ وعلى الأرجح يراها ساقطةً أرضًا، فريسةً سهلةً.

كانت رؤية صوفي ضبابيّةً بعد الضّربة التي تعرّضت لها في رأسها، لكنّها رغم هذا لاحظت أنّ مارك أثناء اندفاعه الأهوج نحو السّاونا لم ير الجسد العاري الذي يتحرّك نحوه من على يمين الكوخ، يتسلّل بهدوءٍ كشبحٍ، شبحٍ ذكيٍّ كسر النافذة وانتظرهم في الرّكن كي يهرعوا للخارج كالدّجاج ليتمكّن من اصطيادهم، يجرّ فأسه خلفه بهدوءٍ على العشب المبتلّ، لم يرفعه سوى في اللّحظة الأخيرة، حاولت صوفي تحذير مارك لكنّها كانت متعبةً.

وصل مارك لباب السّاونا وحاول فتحه قبل أن يصرخ: «إنّه لا يفتح!»

تلك كانت كلماته الأخيرة قبل أن يهشّم الفأس رأسه ويسقطه صريعًا، توقّف دان في منتصف الباحة يراقب جثّة مارك تتهاوى أرضًا، وجّه صاحب القناع نظراته على دان، حاول دان الحديث بصوتٍ مرتجفٍ: «مارتي؟ هذا اسمك ... أليس كذلك؟». اقترب منه الرجل العاري، ظهرت الرّقع التي خيّط بها الجلد ببعضه البعض، سأله دان وهو يرتجف هلعًا: «لماذا تسعى لقتل مزيدٍ من الضّحايا؟ إذا وكّلت محاميًا

جيّدًا سيستطيع إخراجك من الثّلاث جرائم التي ارتكبتها بحجّة أنّهم تعدّوا على ممتلكاتك».

هذا حديثٌ لا يجدي، هكذا أدركت صوفي رغم عدم صفاء ذهنها، كانت تراقب المصباح القابع أرضًا بجوار جثّة إريك، نظرت مرّةً أخرى لصاحب القناع، رأت عينيه من تحت القناع.

زحفت نحو المصباح وهي تمسكه وتصرخ بدان: «دان، التزم بالخطّة».

التفت صاحب القناع نحوها، حطّمت المصباح على صخرةٍ قريبةٍ، حطّمت زجاجه وتركت الرّيح تخمد لهبه.

سيطر الظّلام ولم تستطع صوفي رؤية دان أو مارتي حورو أو حتّى السّاونا، لكنّها كانت تعرف الطّريق إليها، بدأت اللّعبة تصبح أكثر عدلًا، أصبح المفترس أعمى مثل ضحاياه، وقفت على قدميها وبدأت تتحرّك للأمام.

سمعت دان يناديها: «صوفي؟»

أيّها الأحمق!

وعلى الفور صوت أقدامٍ حافيةٍ تتّجه نحو مصدر الصّوت، كانت تعرف أنّ هذا يعطيها فرصةً للهروب، تحرّكت نحو

السّاونا بسرعةٍ وهي تحبس أنفاسها، حاولت أن تتسلّل.

صرخ دان من خلفها وسط الظّلام، أكملت طريقها، تمدّ يديها أمامها، صمتت صرخة دان سريعًا، لقد مات.

حاولت فتح الباب وهي تسمع صوت الأقدام يقترب منها، صدمها شيءٌ ما في جانبها وأسقطها أرضًا، وضعت يدها على فمها كيلا تصرخ، الضّربة التّالية أتتها في منتصف ظهرها، أسقطتها أرضًا على وجهها، اجتاح الألم كامل جسدها، حاولت الحفاظ على هدوئها، لكنّها أدركت سريعًا أنّه يمسك فأسه بالعكس ليضرب ضحاياه بالجهة الأخرى، سمعته يتحرّك حولها، يبدو أنّه يبحث عنها، بدأت عيناها الاعتياد على الظّلام، رأت باب السّاونا، حاولت أن تستند على مرفقيها لتقف لكنّ ضربةً أخرى أتتها وأسقطتها أرضًا، قفزت على قدميها سريعًا وهرعت نحو الباب، أمسكت المقبض وهي تتذكّر كلمات مارك الأخيرة.

إنّه لا يفتح!

لكنّه كان مخطئًا، فتحت الباب بسهولةٍ، دخلت سريعًا وهي تغلق الباب خلفها، فتحت باب غرفة تبديل الملابس وعبرتها قبل أن تدخل غرفة السّاونا، استندت إلى فخذها وهي تتنفّس بصعوبةٍ، رائحة العرق والسّخام تملأ المكان، لكنّها بأمانٍ والشّرطة على وشك الوصول.

لكنّها شعرت أنّ شيئًا ما ليس على ما يرام.

ورغم كثافة البخار إلا أنّها استطاعت رؤيتهم، جالسين على مقعد السّاونا

ينظرون إليها!

سألت صوفي: «دان؟! هل استطعت الهرب؟!»

ابتسم ولم يرد عليها.

كان الآخرون يجلسون بجواره، ليندا، إريك، مارك وكيارا.

كلّهم أحياءٌ، عراةٌ، ومن خلفهم تراقص ظلٌّ باهتٌ وسط البخار، قالت صوفي بحيرةٍ: « لكنّكم موتى»!

شعرت بالدّوار، لم تستطع التّنفّس.

ردّت كيارا: « بالضّبط، مرحبًا بك في ساونا الموتى».

تقدّم الظّلّ الباهت نحوها، رأته بوضوحٍ من وسط البخار، ابتسامته كانت مطمئنّةً ومألوفةً، عينا والدها الزّرقاوين لمعتا وسط البخار.

أمسك بيدها وأجلسها جوارهم، وجدت نفسها عاريةً بدورها وهي تشعر بالاطمئنان أخيرًا.